فرقة الأباضية

في ميزان الأسلام

إعـــداد

جمال محمد سعيد عبد الغنى

أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة .

كلية أصول الدين جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة .

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا علـى الظـالمين الكافرين ، والصلاة والسلام على أشـرف المرسـلين وخـاتم الأنبيـاء والمرسلين صلوات الله عليه وتسليماته، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ،

بعد أن بلَّغ خاتم النبيين رسالته على أكمل وجه توفاه الله تاركاً أمته وهـى وحدة واحدة في العقيدة والفروع ، فقد بين لهم دين الله القويم وصراطـه المستقيم ، فآمن به من وفقهم الله فنالوا السعادتين في الدنيـا والآخـرة ، خصوصاً الذين شهد لهم النبي ﷺ بأنهم من أهل الجنة فبشرهم بذلـك ، وهذا من منطلق تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولكن البعض أبـى الانصياع داخل الأمة الواحدة فعاودوا الحنين إلى الفُرقة وقلدوا أسـلافهم من الأمم التي مضت ، وقد تنبأ لهم النبي ﷺ حيث قال :

(لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلـوا جحر ضب لتبعتموهم) (١)

وكما قال ﷺ في حديث آخر عن أنهم سيتفرقون فرق عديدة :

(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصـارى علـى اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتـان وسبعون في النار وواحدة في الجنة) (٢)

---

(١) صحيح البخاري / كتاب الاعتصام بالسنة .

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة ﷺ وانفرد أبـو داود بتلـك الزيادة في آخر الحديث { ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة } .

وبالفعل تحقق قول النبي ﷺ في تفرقهم إلى فرق عديدة ، كان أكبرها الشيعة والخوارج والمرجئة وغيرهم فرق عديدة انشقوا من تلك الفرق الأصلية ، وكتب عنهم بعض علماء الأمة مثل أبو الحسن الاشعري في المقالات ، وعبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ، والشهرستاني في الملل والنحل وابن حزم في الفصَل ، وغيرهم كثيرون كتبوا ووضحوا للأمة مدى انزلاق تلك الفرق في الهوة التي بعدتهم عن كتاب الله وسنة النبي ﷺ وما سار عليه أصحابه من فهمهم الكتاب والسنة .

وفي هذا البحث أعرض لفرقة تسمى الإباضية ؛ لنعرف شيئاً عن حقيقتها من خلال نشأتها وتاريخها ومدى علاقتها بالفرق الكبرى ، ثم نذكر بعضاً من معتقداتهم ومدى موازنة ما سبق ذكره بميزان الإسلام ؛ حتى يمكننا الحكم عليهم حكماً حيادياً من خلال ما ذكروه عنهم ، والله أعلى وأعلم .

تمهيد .

لكي يمكننا التحدث عن فرقة الإباضية فمن الجدير بمكان أن نذكر التمهيد التاريخي الذي يروي الأحداث التي مهدت لظهور هذه الفرقة .

ولا يفوتنا أن نتابع هذه الأحداث بدقة وبحيطة ، ونذكر أن تداخلها في هذه الفترة يجعل من الصعوبة بمكان تقسيمها إلى مراحل محددة يمكن القول أنها تعتبر نهاية لمرحلة وبداية لمرحلة أخرى .

ومن الجدير بالذكر أنه قد أشتهر أن فرقة الإباضية تعد من فرق الخوارج، وقد ذهب البعض بالقول : " إلى أن ظهور الخوارج ترجع بداياته إلى عهد رسول الله ﷺ حيث ظهر خارجون عليه لم يرتض بعضهم حكمه وواجهه بعضهم الآخر بالمعارضة " (٣)

وهذا رأي مبالغ فيه ، أما المعنى العام فنقول إن : الخوارج هي كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان .) (٤)

وسوف يتضح من خلال هذا البحث تحديد البدايات الصحيحة لهذه الفرقة، وهي الخوارج وما ترتب عليهما من ظهور فرقة الإباضية .

وبادئ ذي بدء نحب أن نتحدث من زمن وفاة النبي ﷺ فعندما انتقل النبي ﷺ إلي الرفيق الأعلى وجد المسلمون أنفسهم إزاء مشكلة جديدة بعد أن اختلفوا في حقيقة وفاة النبي ﷺ ، وقد حسم تلك المشكلة الصديق أبو بكر ﷺ بكلمته المشهورة : (من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن

(٣) الدكتور عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية / الجزائر ١٩٧٨ طاولي ج١ ص٣٤
(٤) الشهرستاني / الملل والنحل ج١ مؤسسة الحلبي .

كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت) إن رب محمد حـــي لا يمـــوت وهو المعبود بحق وقراءته آية آل عمران ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَـــى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ .﴾ آل عمران ١٤٤.

ثم إن هذه المشكلة الجديدة التي وجد المسلمون أنفسهم إزاءهـــا ، وهـــي مشكلة الإمامة ولمن يكون أمرهم وما هي أسس اختياره ، ومع ذلـــك : فلم يطل أمر هذا الجدال طويلاً وما لبث المسلمون أن اتفقـــوا علـــى أن يتولى أبو بكر الصديق ﷺ أمر المسلمين ، كما أن الأحداث التي واجهها المسلمون على عهده وعهد ثاني الراشدين شغلتهم عن الخلاف ووحـــدت جماعتهم وانطلقت جيوشهم تفتح البلاد وتدك العروش وتنشر الإسلام .

ثم جاء بعد ذلك عهد ثالث الراشدين عثمـــان بـــن عفـــان ﷺ فرضـــي المسلمون عنه في أول عهده ، ثم أنكر بعض المسلمين عليه أموراً جـــدت مما ترتب عليها اختلاف الناس في حكمه وما قام به مـــن أفعـــال كـــان أبرزها ولاؤه لأقاربه وتعيينهم ولاة على بعض الأمصار وثراء هـــؤلاء الأمراء أكثر من عهودهم السالفة ، وقد غالى البعض في إنكارهم علـــى عثمان ﷺ فاستحلوا دمه ، وأثاروا عليه الأمصـــــار ، وكـــثرت الفتنـــة وانتهت بمقتله ، فأثار قتله أكبر فتنة في تاريخ الأمة الإسلامية ، وكـــانت تلك الفتنة هي أول ما واجه على بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ رابع الراشدين عندما ولي أمر المسلمين ، ثم إن أمر الفتنة قد تزايد مع تداخـــل الأحداث ، وبذلك تصدعت وحدة الدولة وأصبح على بن أبى طـــالب ﷺ ومن بايعوه في جانب ، ومعاوية بن أبى سفيان ﷺ ومن والـــوه ولـــم يدخلوا في بيعة علي ﷺ لأنهم لم يرضوا بإمامته فـــي جـــانب آخـــر ،

وترتب على ذلك معركة **صفين** فاتسعت الهوة والفرقة بين الفرقتين فزادت بذلك وحدة الخلاف والشقاق وتوالت الأحداث باضطراب مثير ولجأ المتقاتلون للتحكيم ، ورغم ذلك أدى التحكيم إلى انفراج الموقف أكثر مما كان عليه من قبل فازدادت الفتنة واحتدم الصراع مما ترتب عليه انقسام أتباع علي ﷺ إلى مَنْ يشيعونه ومَنْ لا يرضون بالتحكيم فخرجوا عن مشايعته والولاء له فسُمُّوا خوارج .

وكان هدف الخوارج من وجهة نظرهم هي عودة الخلافة تحت لوائهم بعيداً عن بني أمية ، خصوصاً **معاوية بن أبي سفيان** ﷺ .

وقد قوي شأن الخوارج وكثر أتباعهم ، مما ترتب عليه نشوب مواجهات مسلحة بين الجانبين الخوارج وعلي ﷺ في معركة **النهروان** ، ورغم ذلك إلا أن هذه المعركة لم تحسم الأمر بل وسعت من حدة الخلاف ، وظهورهم مرة أخرى وكثرتهم في الأمصار ، رغم أن ما تبقى من تلك المعركة تسعة نفر فقط ، وهذا ما سنوضحه في موضعه بإذن الله .

ورغم أن أمر الخلافة قد انتهي بعد مقتل **علي بن أبي طالب** ﷺ إلى **معاوية بن أبي سفيان** ﷺ إلا أن ذلك لم يقعد بأولئك القوم ، بل على العكس من ذلك فقد أدى إلى اشتداد حركتهم وازدياد أتباعهم كما ظهر بينهم أصحاب آراء مختلفة ، كان لكل منهم منهجه في فهم الأحداث وتفسير الوقائع واستخلاص الأحكام ، كما كان له أيضاً أسلوبه في الدعوة ومنهجه في جمع الأتباع وسبيله في حشد المؤيدين ، ومن بين هؤلاء تلك الجماعة (**المحكمة**) التي أعلنت قولها (**لا حكم إلا لله**) وهؤلاء هم الخوارج .

والأحداث التي أدت لظهور هذه الفرقة فترة حرجة أحداثها متداخلة أخبارها مضطربة ، فالذي يتعرض لرواية أحداث هذه الفترة بالذات يجد نفسه بإزاء حشد مضطرب متناقض في الأخبار التي تُروى عن كل موقف بأسلوب مختلف عن الآخر ؛ لأن كثيراً من الأخبار تتلون بنظرة راويها ، وتتأثر به حيث يصورها بأن يضيف إليها أو يحذف منها ، وقد يبتعد عنها ابتعاداً على نحو يهدف من ورائه إلى تأييد رأيه وتأكيد مذهبه. وقد كثر في هذه الفترة المذكورة أن بلغ الأمر برواة الأخبار عن تلك الفرق أن نسبوا للنبي ﷺ أحاديث كاذبة هدفوا من ورائها تأييد مذهبهم وإثبات صحته وأيضاً إبطال ما عليه معارضوهم .

قال الإمام محمد عبده :-

(توالت الأحداث بعد ذلك ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع ما عقدوا، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين غير أن بناء الجماعة قد انصدع وضعفت عرى الوحدة بينهم وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة وأخذت الأحزاب في تأييد آرائهم ، وكانت نشأة الاختراع في التأويل والرواية وغلا كل فريق ، فافترق الناس إلى شيعة وخوارج ومعتزلة وغلا الخوارج في عهد مروان الأول فكفّروا مَنْ عداهم ثم استمر عنادهم وطلبهم لحكومة أشبه بالجمهورية وتكفيرهم لمن خالفهم زمناً طويلاً إلى أن تضعضع أمرهم على يد المطلب بن أبي صفرة ، وانتشروا في بلاد المغرب فأشعلوا فيها الفتن وبقيت منهم بقية إلى اليوم في أطراف أفريقيا وناحية من جزيرة العرب . (٥)

(٥) الإمام الشيخ محمد عبده رسالة التوحيد ط دار الهلال ١٩٨٠ ص٢و٣.

فهذا هو تطرفهم في الحكم على الغير من مخالفيهم بالكفر مفرقين بذلك بين ديارهم وديار غيرهم بأن الأولى دار إسلام والأخرى دار كفر ، فنرى الخوارج يكفرون من عداهم من المسلمين وهم أول من أطلق كلمة الكفر ، والكفر على مخالفيهم حتى حكم للأزارقة والصفرية بأن ديار مخالفيهم ديار كفر من أقام فيها فهو كافر .[٦]

قصة المحكمة .

ذكرنا فيما سبق أن أثار التحكيم لم تكن تضعف جانب علي بن أبي طالب ﷺ وتقوي من شأن معاوية ﷺ بل أن التحكيم كان له الأثر الكبير في إحداث الفرقة في صفوف وجند علي ﷺ ، فرقة اشتدت وتضاعفت بصورة تثير الشجون ذلك بأن جماعة من المحكمة قد ظهرت في صفين على إثر قبوله التحكيم ، وقد ارتفعت أصوات تلك المحكمة تعلن رفضها وغضبها إثر قبوله التحكيم ، ورغم أن المصادر التاريخية تؤكد أن علياً قبل التحكيم رغماً عنه إذ أنه كان رافضاً ، وكان يستشعر الخديعة من القوم ، وقد قامت محاجات كلامية بينهما ــ أي بين المحكمة وعلي ــ فكانوا يقولون : إن التحكيم خدعة ، وهل هناك تحكيم في شرع الله ؟
وإذا قبل بقبول التحكيم ففيم كانت الحرب وكان القتال ؟
وهكذا اشتد النقاش وكثر الجدل فلما أن بلغ التحكيم نهايته ولم يعمل بنتيجة مرجوة ترضي أطراف النزاع ، مضى أولئك المحتجون من جند علي ﷺ يجمعون صفوفهم ويعلنون خروجهم عن علي ﷺ ، بل أعلنوا عدم ولائهم له وخلعهم البيعة من عنقه ، فعزلوه وقد جمعوا جموعهم

(٦) عبد الرحمن محمد المراكبي : قضية التكفير والحكم على المسلمين بين التطرف والاعتدال ط المؤسسة العلمية الحديثة للطباعة ١٩٩٤ ص١٣

بقرية من قوى الكوفة تسمى **حروراء** ، وكان عددهم أثني عشـــر ألــف مقاتل ، ثم التقى معهم علي ﷺ في جيوشه في واقعة النهران ، فقاتلـــهم قتالا شديدا فقضى عليهم جميعا ، ولم ينج منهم إلا أقل مـــن عشــرة ــ تسعة نفر ــ وقد انتشر هؤلاء النفر في أماكن مختلفة نشروا فيها المذهب الخارجي وقد سمو ا بعد ذلك بالإباضية .

قال الشهرستاني :- المحكمة هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي ﷺ حين جرى أمر المحكمين واجتمعوا **بحروراء** مـــن ناحيـــة الكوفـــة ورأسهم **عبد الله الكواء** ، **وعتاب بن الاعـــر** ، **وعبـــد الله بـــن وهـــب الراسبي** ، **وعروة بن جرير** ، **ويزيد بن أبي عاصم المحاربي وحرقوس ابن زهير البجلي المعروف بذي الثدية** ، وكانوا يومئذ اثني عشر ألـــف رجل أهل صلاة وصيام ــ أعني يوم النهروان ــ وفيهم قال النبي ﷺ : **(تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم وصوم أحدكم في جنب صيامـــهم ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم)** جمع ترقوة وهي العظم بين ثغرة النحر والعنق، فهم المارقة الذين قال فيهم ﷺ :

(سيخرج من ضئضئ ــ أصل ــ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وهم الذين أولهم ذو الخويصرة وآخرهـــم ذو الثدية [٧]

وقد خرجت هذه الجماعة عن صفوف الإمام على أمرين:-

الأول :- أنهم خالفوا الأمة في وجوب اختيار الأئمة من قريش ، لقـــول النبي صلى الله عليه وسلم **(الأئمة من قريش)** وقد ورد هـــذا الحديـــث بطرق أخرى مختلفة تقربه من درجة المتواتر معنى ، وهؤلاء قد ذهبـــوا

---

(٧) الشهرستاني / الملل والنحل ــ مؤسسة الحلبي ج١ص ١١٥.

إلى أن الإمامة تجوز في غير قريش ، بل جعلوا اختيار الإمام من غير قريش أفضل ، بحجة ألا تكون له عصبية يرتكن إليها فيظلم ويطغى ، أما إذا لم تكن له عصبية فيسهل خلعه عن الإمامة إن حاد عن طريق الصواب وهؤلاء قد قاسوا هذا الأمر بالعقل ضاربين بنص قول النبي ﷺ عرض الحائط لأنهم أشد الناس استخداماً للقياس٠

الثاني :- أنهم ضلوا بقولهم أن علياً ﷺ قد أخطأ في قبوله التحكيم ، وقالوا إنه قد حكم الرجال في كتاب الله ولا حكم إلا لله وقد كذبوا في ذلك على الإمام من وجهين:-

أ- أنهم هم الذين حملوه على قبول التحكيم ، وقد كان هو الذي رفض هذه الخديعة أول الأمر وهم الذين حملوه على هذا التحكيم .

ب- أن تحكيم الرجال المؤمنين جائز ولا غبار عليه ، والمؤمنون يحكمون فيما يعرض لهم من مشكلات ، فيستعينون على ذلك بكتاب الله وسنة النبي ﷺ ، فنحن نقول حكم هؤلاء الرجال في هذه المشكلة بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ولا نقول حكم هؤلاء الرجال في كتاب الله وسنة رسول فشتان ما بين الاثنين (٨)

ويضيف أ٠د / محمود مزروعة في كذب هؤلاء على الإمام علي في النقطة الخاصة بالتحكيم حيث يقول :-

" إنهم انقلبوا فقرروا أن قبول التحكيم كفر ، وهذا يعني أن الكفر من نصيبهم هم وليس للإمام فيه نصيب لأنه رفضه وهم قبلوه ." (٩)

---

(٨) أنظر المرجع السابق ج١ ص ١١٦ بتصرف .

(٩) أ٠د٠محمود مزروعة ــ تاريخ الفرق الإسلامية ــ دار المنار ١٩٩٩م ص٢٦٧.

كل هذه المغالطات أدت إلى ازدياد الفرقة وتضعضع القوى وتفرق الصفوف حتى انتهى بهم الأمر إلى المواجهة بالقتال فكانت معركة النهروان ، " فقاتلهم علي ﷺ مقاتلة شديدة بالنهروان ، فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة ، وما قُتل من المسلمين إلا أقل من عشرة ، فانهزم اثنان إلى عمان واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى تل موزون باليمن وظهرت بدع الخوارج في هذه الحوض منهم وبقيت إلى اليوم (١٠)

وكان عبد الرحمن بن ملجم من الخوراج وكانت على يديه نهاية حياة الإمام علي بن أبى طالب ﷺ حيث قتله ، وكان من الطبيعي أن يؤدي قتل علي ﷺ إلى ضعف جماعته وتفرق شيعته واستقرار الأمر لمعاوية بعد أن بايعه الحسن بن علي ﷺ لحقن دماء المسلمين وعدم نشوب معارك جديدة مثل الجمل وصفين والنهروان ، وقد خطب الحسن بن علي ﷺ في الناس قائلاً :- " كانت لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتوالون من سالمت ، وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه " (١١)

غير أن ذلك لم يكن لينهي دعوة المحكمة ، بل لعله كان مما زادهم شدة في دعواهم ودعوتهم الضالة تمسكاً بها ، ومضوا على مبادئهم يعلنون ألا حكم إلا لله من خلال وجهة نظرهم المزعومة وأن من خالفهم فهو مخطئ وأن عليهم أن يتصدوا لكل عدوان ينزل عليهم ، وهذا ما سنوضحه بإذن الله في نشأة الإباضية بصورة مفصله بموضعه .

(١٠) الشهرستاني / الملل والنحل ج١ ص١١٧
(١١) ابن قتيبة ـــ الإمامة والسياسة مؤسسة الحلبي ص١٤١

نشأة الإباضية .

تحدثنا عن قصة المحكمة فيما سبق ، وهؤلاء المحكمة ــ خصوصاً الذين نجوا بعد معركة **النهروان** ــ كان لهم أنصار وأتباع ناصروا معتقدهم ونشروه وأصبحت لهم قوة لا يستهان بها ، فقد أثاروا بسلوكهم وتحركاتهم غضب الخلفاء الأمويين فكان موقفهم صلباً لما تمسكوا به من خروج عن الخليفة وعن القاعدة الإسلامية العريضة التي خالفوها بتشددهم في نواحي عديدة كان أهمها تكفير الغير ، فكان هؤلاء المحكمة ملاحقين في كل موضع من ولاة الأمر يتعرضون للسجن حيناً وللقتل حيناً ولسواهما من ألوان التعذيب ، ورغم ذلك فقد استمروا على خروجهم على الحكم .

وقد عرفت هذه الجماعة بمسميات مختلفة كان آخرها مسمى الإباضية ، أما هم فقد أطلقوا على أنفسهم مسمى **(جماعة المسلمين)** كما سموا أنفسهم أيضاً **(أهل الحق والاستقامة)** وسموا أيضاً **(القعدة)** ؛ لأنهم زعموا أنهم آثروا القعود والمسالمة ، لكن شهرة مسمى الإباضية كان الأغلب والأشهر على جميع المسميات ، وقد سموا بذلك نسبة إلى **عبد الله بن إباض** وكانت نشأة هذه الفرقة يرجع إلى ما كان لها من موقف ضد التحكيم وما استتبعه من خلاف جوهري حول أسلوب تولي الخليفة بالانتخاب أو الوراثة وهل يكون من قريش أو من دونهما ؟

كما تدعي هذه الفرقة أنهم كان لهم أسلوب خاص في مجال الدعوة وضد التخفي والتقية ، ويعنون بذلك أنهم دون الخوارج الذين أشهروا سيوفهم ورماحهم ضد مخالفيهم ، وأن فرقة الإباضية ليسوا منهم ، فقد آثروا

أسلوب التقية وعدم الالتجاء إلى العنف إلا إذا وقع عليهم عون ، وهذا ما سنوضحه بإذن الله في باقي البحث عن مدى صلة الإباضية بالخوارج .

كما يدعي الإباضيون أن لديهم كتبا ألفوها في الفقه والحديث وأن منهم علماء ومحدثين وفقهاء أجلاء نشروا تلك المعتقدات في مختلف الأمصار فكان لهم أتباع و أنصار للمذهب ونشروه في عمان واليمن والحجاز والمغرب وخراسان فضلا عن مكان نشأتهم وهو البصرة .

ولكي تتضح الصورة عن نشأة الإباضية ينبغي أن نتحدث من خلال ما أوردوه في مصادرهم التاريخية عن نشأتهم وأصل دعاتهم الأوائل ، وهذا ما سنوضحه في موضعه ، وأيضا من مصادر تاريخية أخرى تخدم وجهات نظرهم في نشأتهم .

وهناك نوع ثالث من المصادر قد تحدث عن نشأة الإباضية ولمن تنسب وأهم فرقهم التي صاروا إليها ، وهذا النوع من المصادر يتجاهله الإباضيون لما فيه من انعكاس لصورة سيئة للإباضية ، ومن أمثال هذا النوع الأخير نذكر:-

الشهرستاني في " الملل والنحل "، قال :" الإباضية أصحاب عبد الله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد ، فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة ، وقيل: إن عبد الله بن يحيى الإباضي كان رفيقا له في جميع أحواله وأقواله ، قال إن مخالفنا من أهل القبلة كفار غير مشركين ." (١٢)

---

(١٢) الشهرستاني / الملل والنحل صد ١٣٤

أما الاشعري فقد ذكر في " المقالات" :- " أن من الخوارج : الإباضية ، وأن منهم فرقة الحفصية واليزيدية والحارثية وأصحاب طاعة لا يراد الله بها ."(١٣)

أما البغدادي فقد ذكر عنهم في "الفرق بين الفرق " :-

" أجمعت الإباضية على القول بإمامة عبد الله بن إباض ، وافترقت فيما بينها فرقاً ، يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة ــ يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة ــ براء من الشرك والإيمان وأنهم ليسو مشركين ولا مؤمنين ولكنهم كفار ، وأجازوا شهادتهم وحرموا دماءهم في السر واستحلوها في العلانية ، وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم ، وزعموا أنهم في ذلك محاربون لله ورسوله ولا يدينون دين الحق ، وقالوا باستحلال بعض أموالهم دون بعض ، والذي استحلوه الخيل والسلاح أما الذهب والفضة فإنهم يردونهما على أصحابهما عند الغنيمة .

ثم افترقت الإباضية فيما بينهم أربع فرق وهى الحفصية والحارثية واليزيدية وأصحاب طاعة لا يراد الله بها (١٤)

بداية الإباضية عن نشأتها الأولى .

ذكرنا فيما سبق أن الخارجين عن حكم علي رضي الله عنه كان بسبب قبوله التحكيم، وقد أثار أمرُ هذا الخروج عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه وقد حاول علي رضي الله عنه أن يتداركه قبل استفحال الخلاف بينه وبينهم فبعث إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقال : "ما نقمتم من الحكمين وقد قال الله عز وجل ﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ النساء٣٥. فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

(١٣) أبو الحسن الأشعري ــ مقالات الإسلاميين ــ دار النشر فرانز شتاينز .
(١٤) عبد القاهر البغدادي ــ الفرق بين الفرق ــ دار الآفاق الجديدة بيروت ص٨٢.

فقالت المحكمة : أما ما جعل الله حكمة إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه .

فقال ابن عباس ﷺ : فإن الله ﷻ يقول:

﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ المائدة ٩٥ .

فقالوا : أتجعل الحكم في الصيد والحرث وما يكون وبين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين ؟

وقالوا له : اعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا ، فإن كان عدلاً فلسنا بعدول ، وقد حكمتم في أمر الله وقد أمضى الله حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا ، وقبل ذلك كما دعوناهم إلى كتاب الله فأبوه ثم كتبتم بينكم وبينه كتاباً وجعلتم بينكم وبينه الموادعة والاستفاضة وقد قطع الله ﷻ الموادعة والاستفاضة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت سورة براءة إلا من اقر بالجزية .(١٥)

ونخلص من الحوار السابق بنقاط منها :-

أولاً :- أن الخلاف بين على بن أبي طالب ﷺ وبين الخارجين عليه كان خلافاً كبيراً أثر بعد ذلك في نشأة فجوة عميقة بين كليهما مما ترتب عليه مواجهة عسكرية سُفكت فيها الدماء .

ثانياً :- أن المحكمة يرون أن علياً بن أبي طالب ﷺ بقبوله التحكيم قد خرج عن الشرع .

ثالثاً :- أما علي بن أبي طالب ﷺ فيرى أنه منقذ للشرع عندما قبل التحكيم .

(١٥) ابن الاثير – الكامل في التاريخ ج٣ ص١٦٦ ط دار الكتاب العربي بتصرف .

رابعاً :- أن المحكمة كانوا يفهمون بعض نصوص القرآن فهماً خاصاً يؤيد موقفهم ، ولذلك زاد إصرارهم وثباتهم على ما اعتقدوه من تخطئته ومَنْ شايعه بقبولهم التحكيم .

خامساً :- أما الجانب الآخر فنرى أن علياً ومَنْ شايعه ثابتون على موقفهم بعد أن استدلوا بآيات من القرآن تؤيد موقفهم ، فثبتوا عليه وأصروا إصراراً ، ورغم كل ذلك فإننا نرى أن علياً قد حرص على مراجعة الخارجين عليه فمضى إليهم يحاورهم ويجادلهم حتى يقصر الطريق ويقرب وجهات النظر المختلفة ، فقال كرم الله وجهه :-

مَنْ زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا : حكومتك يوم صفين ، قال : أنشدكم الله أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف وقلتم نجيبهم قلت لكم إنه أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين ــ وذكر ما قال لهم ــ ثم قال لهم : قد اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فإن حكم بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وإن أبينا فنحن عن حكمهما براء ، قالوا : فخبرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟ ، فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال إنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال ، قالوا : فخبرنا عن الأجل لم جعلته بينكم ؟ قال : ليعلم الجاهل ويثبت العالم ولعل الله يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ادخلوا مصركم رحمكم الله ، فدخلوا من عند آخركم .

قيل : والخوارج يزعمون أنهم قالوا له صدقت قد كنا كما ذكرت وكان ذلك كفراً منا وقد تبنا إلى الله كما إننا نبايعك وإلا فنحن مخالفون ، فبايعنا

علي ، وقال ادخلوا فلن نمكث ستة أشهر حتى نجني المال – ويسمى الكراع – ثم نخرج إلى عدونا ، وقد كذب الخوارج فيما زعموا .(١٦)

وتعددت أقوالهم ومناحيهم بالنسبة لعلي ابن أبي طالب ﷺ وقبوله التحكيم كما أخذوا إمضاء التحكيم وتعددت في ذلك أقوالهم ، لعل أصرحها قول عبد الله بن وهب الراسبي – لما بلغه أمر التحكيم – أنه قد قام إلى علي ﷺ مع أناس عرفوا بعد ذلك بالقراء ، فقال : اتق الله فإنك قد أعطيت العهد وأخذته منا ولنفنين أنفسنا لو التقينا بعدونا أو يفئ إلى أمر الله ، وإنا نراك قد ركبت إلى أمر فيه الفرقة والمعصية لله والذل في الدنيا فانهض بنا إلى عدونا فلنحاكمه إلى الله بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين لا حكومة الناس .(١٧)

ومن جهة أخرى وثب إلى على بن أبي طالب رجلان يرجعانه وهما : **زرعة بن البرج الطائي وحرقوص ابي زهير السعدى** ، فقالا له : لا حكم إلا لله ، فقال علي : لا حكم إلا لله ، فقال حرقوص : تب من خطيئتك وراجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا، فقال علي : قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشرطنا شروطا وأعطينا عليها عهودا ، وقد قال الله ﷻ :

﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾

فقال حرقوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه ، فقال علي : ما هو ذنب ولكنه عجز عن الرأي وقد نهيتكم ، فقال : زرعه يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال لقاتلناك أطلب وجه الله تعالى ، فقال علي : بؤسا لك ما

(١٦) انظر المرجع السابق ج٣ ص١٦٦وانظر عمار طالبي – آراء الخوارج الكلامية ص٣٦.
(١٧) ابن قتيبة – الإمامة والسياسة تحقيق طه محمد الزفيتي ط مؤسسة الحلبي ص١١١.

أشقاك ، أنى بك قتيلاً تسفي عليك الرياح ، قال : وددت لو كان ذلك ، فخرجا من عنده يحكمان ، وخطب علي ﷺ ذات يوم فحكمت المحكمة في جانب المسجد فقال علي : الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل إن سكتوا ضممناهم وإن تكلموا حاججناهم وإن خرجوا علينا قاتلناهم .(١٨)

ويذكر أحد الإباضية في كتبهم أن علياً قد أخطأ بقبوله التحكيم وقد أوجب بهذا القبول الخروج عليه حيث قال :-

" لعمري لئن كانت الحكومة عدلاً وصواباً لقد أخطأ علي بسفكه الدماء ، ومعاوية هنا يصبح أولى بالعدل منه لكونه الداعي إليها ، وإن كانت الحكومة خطأ وضلالاً فعلى الإمام علي أن يجتنبها ." (١٩)

ويعني بذلك أن الخروج على الإمام علي أمر محتوم أوجبه قبوله التحكيم وأيضاً أوجبه عدم اعتراف الإمام بخطئه ، وأيضاً أوجبه التسبب في سفك الدماء للمسلمين ، وأيضاً أوجبه نشوب الفُرقة بين صفوف المسلمين .

هذه كلها وجهات نظر الإباضية في حال ما اعتقدوه عن قصة المحكمة ونشأة فرقتهم خصوصاً عند مبايعة عبد الله بن وهب أميراً لهم وخلع علي بن أبي طالب من الإمارة وهذا ما سيتضح بإذن الله في موضعه .

أما موقف علي ابن أبي طالب ﷺ منهم فكان يراجعهم ويحرص على انضمامهم ضمن صف المسلمين المقاتلين ، لما خرجوا بالشام على إمارة علي بن أبي طالب ﷺ فقام علي يخطبهم مرة بعد أخرى ويخبرهم قائلاً:

" الله أكبر كلمة حق يلتمس بها باطل أما إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا، لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا . (٢٠)

---

(١٨) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ ج٣ ص١٦٩.
(١٩) القلهاتي ــ الكشف والبيان تحقيق د سيد الكاشف ج١ عمان ١٩٨٠ص٢٣ .
(٢٠) الطبري تاريخ الأمم والملوك ط دار الفكر بيروت ج٢ص٤١ سنة ١٩٤٩ وانظر ابن الاثير الكامل في التاريخ ج٣ ص١٦٩ .

إمارة عبد الله بن وهب على المحكمة .

لم ييأس علي بن أبي طالب ﷺ من هؤلاء الذين تمردوا وخرجوا عليه ، بل كان يعظهم أحياناً بمخاطبتهم في المسجد وفي حين آخر كان يكتب إليهم رسائل يحاول فيها تبرئة موقفه من أنه قد خدع في الحكمين وأنه على الأمر الأول ، فكتب إليهم قائلا : " من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس ، أما بعد : فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيناهما حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا القرآن حكماً لبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا إلينا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه والسلام. "(٢١)

فردوا عليه برسالة فيها تبجح ورمياً للإمام عليﷺ بالكفر واتهامات وجهوها إليه قائلين :-" أما بعد : فإنك لم تغضب لربك غضبت لنفسك فإن شهدت لنفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نبذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين ."(٢٢)

ولم يكتفوا بذلك بل جمعوا أنفسهم في بيت أبي وهب فخاطبهم بكلمات حماسية تحرضهم على نبذ عليﷺ ومحاربته والالتفات حوله حيث قال:-" الحمد لله ، أما بعد : فوا الله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن منيبين إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التي الرضا بها والركون إليها والإيثار إياها عناء وتبار آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن

(٢١) ابن الأثير ــ الكامل في التاريخ ج٣ ١٧١.
(٢٢) المرجع السابق ج٣ص١٧١.

المنكر والقول بالحق ، فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض المدائن منكرين لهذه البدع المضلة.[٢٣]

وقد التف من التف حول عبد الله بن وهب الراسبي فجمعوا أنفسهم وحاولوا تعضيد هذا الجمع بآخرين من الأمصار الأخرى فكانت هناك مكاتبات بين ابن وهب وبعض الأمصار ، فكتب إلى أهل البصرة يعلمهم بهذا الجمع الذين التفوا حوله حيث قال :-

" إن أهل دعوتنا حكموا الرجال في أمر الله ورضوا بحكم الفاسقين على عباده فخالفناهم ونابذناهم نريد بذلك الوسيلة إلى الله ، وقد قعدنا بجسر النهروان وأحببنا إعلامكم لتأخذوا بنصيبكم من الأجر "

وقد أجابوهم : " بلغنا كتابكم وفهمنا ما ذكرته ، وقد وهبنا لكم الرأي الذي جمعكم الله عليه من الطاعة وإخلاص الحكم لله وإعمالكم أنفسكم فيما يجمع الله به كلمتكم وقد أجمعنا على المسير إليكم عاجلا . "[٢٤]

ويعتبر عبد الله بن وهب من أئمة الإباضية حيث إنه أول من خطب فيهم فالتفوا حوله ، ولم يرضوا بحكم الحكمين ، وسموا أنفسهم بالمحكمة فكانوا يقولون لا حكم إلا لله ، قال عمار طالبي :-

" عبد الله بن وهب الراسبي من الأزد ومن أئمة الإباضية . "[٢٥]

فهو يعد بعد زعيم هذه الجماعة الإباضية رغم أن هذا المسمى لم يطلق عليهم إلا مؤخرا بعد ظهور عبد الله بن إباض ، وبين ابن وهب وابن إباض أئمة ودعاة للمذهب سوف نذكرهم في موضعه ، أما ما يهمنا الآن

(٢٣) ابن قتيبة الإمامة والسياسة ٣ ص١٢١.
(٢٤) الطبري ــ تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٤٢.
(٢٥) عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية ص٨٩.

هو ذكر المواجهة التي تمت بين علي بن أبي طالب ﷺ وشيعته وبين عبد الله بن وهب ومن التف حوله حيث كانوا أربعة آلاف ، " فبقي مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة ، فرجعوا إلى علي ، وكان علي قد قال لأصحابه كفوا عنهم حتى يبدءوكم ، فتنادوا الرواح إلى الجنة وحملوا على الناس فافترقت خيل علي فرقتين : فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فما لبثوا أن أناموهم ، فلما رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى أصحابه أن انزلوا فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا أن حمل عليهم الأسود بن قيس المرادي وجاءتهم الخيل من نحو علي فأهلكوا في ساعة فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا . "[٢٦]

فهذه المعركة (النهروان) لم تكن في حسبان علي بن أبي طالب ﷺ ولكنه اضطر لخوضها ، فمات من مات ونجا من نجا ، لكن الموت كان في صف ابن وهب كثير للغاية لدرجة أن الكتب تؤرخ أنه لم ينج منهم سوى أقل من عشرة ولم يقتل من شيعة علي ﷺ سوى أقل من عشرة فحزن علي ﷺ حزناً شديداً على ما وصل إليه حال المسلمين ، لكنه كما ذكرنا كان مضطراً لخوض هذه المعركة ، أما من حوله من الذين يحرضون الإمام ــ بطريقة شيطانية ــ على محاربة هؤلاء الجمع الذين خرجوا على إمارة الإمام علي ، فيرى الطبري :-

" إن علياً كان متجهاً لحرب معاوية بالشام لكن بعض أصحاب علي ﷺ وعلى رأسهم الأشعث بن قيس هم الذين اضطروا علياً إلى تغيير خطته والاتجاه إلى جماعة النهروان ." [٢٧]

(٢٦) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج٣ ص١٧٤.
(٢٧) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٤٧ بتصرف .

هذا من جهة ومن جهة أخرى نقول إنه ربما يكون الإمام علي فضَّل أن يؤمِّن ظهره من هؤلاء الخارجين عليه حتى يفرغ لهؤلاء المحاربين له في الشام وعلى رأسهم معاوية ، لكننا نرجح الرأي الأول من أن الأشعث بن قيس كان له دور خطير وكبير في التحريض لخوض هذه المعركة حيث يكثر المؤرخون في الحديث عن دور الأشعث بن قيس وأنه كان وراء كل ما حاق بجيش علي ﷺ ، فقد كان وراء قبول علي للتحكيم ، وكان هو الداعي لاختيار أبي موسى الأشعري ﷺ دون ابن عباس ﷺ كأحد الحكمين ، كما أنه كان على رأس الداعين للخروج على جماعة النهروان وبدئهم بالحرب ، كذلك فهو الذي خذل الجيش وأشاع فيه الوهن عقب واقعة النهروان فلم يتمكن علي من التوجه بجيشه إلى معاوية .[٢٨]

وأياً ما كانت الدوافع وراء معركة النهروان إلا أنها كانت صورة مفجعة ومحزنة في تاريخ المسلمين لدرجة أن بعض الكتب تذكر أن عدد الرجال الذين كانوا وراء ابن وهب اثني عشر ألف رجل قتلوا جميعاً إلا أقل من عشرة .

ذكر ذلك الشهرستاني في الملل حيث قال :-

(وكانوا يومئذ اثني عشر ألف رجل أهل صلاة وصيام ــ أعني يوم النهروان ــ ثم قال : وإنما خروجهم في الزمن الأول على أمرين :-

أحدهما : بدعتهم في الإمامة إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش ؛ ولذلك بعثوا عبد الله بن وهب الراسبي أمير المؤمنين وهو لا ينسب للقرشيين .

---

(٢٨) ابن أبي الحديد ــ نهج البلاغة ص٩٧.

البدعة الثانية :- أنهم قالوا : أخطأ علي في التحكيم إذ حكم الرجال ولا حكم إلا لله ، وقد كذبوا على الإمام علي من وجهين :-

أحدهما : أنه حكم الرجال ، وليس ذلك صدقاً ؛ لأنهم هم الذين حملوه على التحكيم .

والثاني :- أن تحكيم الرجال جائز فإن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة وهم رجال ، ولهذا قال علي : كلمة حق أريد بها باطل ، وتخطوا عن هذه التخطئة إلى التكفير ولعنوا علياً فما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فقاتل الناكثين واغتنم أموالهم وما سبي ذراريهم ونساءهم ، وقاتل القاسطين وما اغتنم ولا سبى وقاتل المارقين واغتنم أموالهم وسبى ذراريهم، وطعنوا في عثمان ﷺ للأحداث التي عدوها عليه ، وطعنوا في أصحاب الجمل وصفين ، فقاتلهم علي بالنهروان مقاتلة شديدة فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة وما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة." [٢٩]

ورغم ذلك كله إلا أن أمير المؤمنين علي كان حزيناً على ما يحدث وما حدث من قتل هؤلاء الجمع ، فتروي بعض المصادر الإباضية :" أن علياً لما قتل أهل النهروان أمر بعباهم فجمعت فإذا مصاحف وقراطيس ، فذكروا أنه أصيب في عسكرهم أربعة آلاف مصحف إلا مصحفاً فبكى علي حتى كادت نفسه تخرج ، ويقال إنه دخل على ابنته أم كلثوم فهنأته بالظفر بهم ، فقال علي: أصبح أبوك من أهل النار إن لم يرحمه الله." [٣٠]

وذكر القلهاتى وهو من كتاب الإباضية :" إن علياً بعد أن قتلهم جعل يمر عليهم وهو يستغفر لهم ويقول : بئس ما صنعنا قتلنا خيارنا وفقهاءنا ،

(٢٩) الشهرستاني الملل والنحل ج١ ص١١٥ و١١٦ باختصار .
(٣٠) الحارثي العقود الفضية ط١ دار اليقظة ص٨٠ .

فقال له بعض أصحابه : يا أمير المؤمنين قتلنا المشركين ؟ قال : من الشرك فروا ، قالوا : أمن المنافقين ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيراً . (٣١)

فهذه روايات ذكرتها الإباضية في كتبهم ومغزاها أن علياً كان مغتماً حزيناً لصنيعه بأهل النهروان ، ولكن لعمري ألا يكون العدد الذي ذكر في النص أربعة آلاف مصحف إلا مصحف أتراه مبالغ فيه ؟ وهل يعقل أن هذا الكم من المصاحف قد كتب في عصر الخليفة الرابع علي ابن أبي طالب ﷺ وبالأمس القريب كان هناك مصحف واحد فقط في بيت السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ وقد نسخ منه أربع نسخ وزعت على الأمصار في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ وبمجرد مجيء الخليفة الرابع يكون هناك هذا الكم الهائل من النسخ بين أيدي هؤلاء الجماعة ، اعتقد أن ما ذكر في هذا النص مبالغ فيه .

ثم هناك وقفة أمام ما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل من ذكر حديث النبي ﷺ من وصف أهل المحكمة الذين قتلوا في النهروان على يد الإمام علي ، حيث قال ﷺ : " تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم وصوم أحدكم في جنب صيامهم ، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم "

فهم المارقة الذين قال فيهم ﷺ :" سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية "

وهم الذين أولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثدية . (٣٢)

---

(٣١) القلهاتي الكشف والبيان ص٢٥٢.

(٣٢) الشهرستاني – الملل والنحل ج١ ص١١٦ ، وسيأتي تخريج الحديث بعد قليل .

وهذا الحديث قد ذكر في كتب الصحاح ومتفق عليه بين البخاري ومسلم ــ رضى الله عنهما ــ ونذكر النص للبخاري حيث ذكر في صحيحه عن سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدري ﷺ قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما أتاه ذو **الخويصرة** ــ وهو رجل من بني تميم ــ قال : **يا رسول الله اعدل ، فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم اعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن اعدل ، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال : دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيها شئ ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه ــ وهو قدحه ــ فلا يوجد فيها شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيها شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى عضدية مثل ثدي المرأة ومثل البضعة تدردر ، ويخرجون على حين فرقة من الناس "**

قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول ﷺ وأشهد أن **علي بن أبي طالب** ﷺ قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حيث نظرت إليه على نعت النبي ﷺ نعته .(٣٣)

فهذا نص النبي ﷺ ولا يخفى على عاقل أن مكانة علي ﷺ العلمية تجعله ينسى هذا الحديث وما قيل في حق هؤلاء فيأسف الإمام علي ﷺ عليهم

---

(٣٣) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة في الإسلام ط دار إحياء الكتب ج٢ ص٢٨١.
وابن حجر فتح الباري كتاب المناقب باب علامات البنوة في الإسلام ــ طبعة الريان ج ٣ ص ٧١٤ رقم الحديث ٣٦١٠ .
مسلم صحيح مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وفسادهم ــ طبعة الريان رقم١٠٦٤.

باكيا قائلا لابنته أنه أصبح من أهل النار لما وجد في أمتعتهم من مصاحف بعددهم وهناك رواية رواها الإمام على بنفسه ، وذكرها الإمام البخاري في صحيحه حيث قال :- حدثنا ابن كثير أخبرنا سفيان عن الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة قال : قال علي رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :- يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة .(٣٤)

فرغم أنهم كانوا يذكرون الله كثيرا ويقرؤون القرآن ليل نهار ويقومون بالليل تهجدا ويصومون النهار تعبدا إلا أن ذلك كله لم ينفعهم لما اعتقدوه من كفر علي وما اعتقدوه في الحكمين ، وها هو نص النبي ﷺ واضحا جليا من أن عبادتهم لا تتجاوز تراقيهم وهى العظمة التي بين النحر والعنق أو لا تتجاور حناجرهم .

أما ما تبقى منهم في معركة النهروان ومن على شاكلتهم من اعتناق مبادئهم كانوا حاقدين على علي وشيعته إلى درجة انهم فكروا بأن يترجموا هذا الحقد إلى أفعال عملية يترتب عليها إزهاق روح بدون وجه حق ، فدبروا القتل لعلى ومعاوية ولعمرو بن العاص وصمموا وتعاهدوا على ذلك .

(٣٤) أخرجه البخاري صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة في الإسلام ج٢ص٢٨١ .

ذكر ابن الأثير في الكامل : " إن سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم بن عبد الله التيمي الصريني وقيل : اسم البرك الحجاج ، وعمرو بن بكر التميمي السعدي ، وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم ، ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟ فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة أرحنا منهم البلاد ؟ فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم عليا ــ وكان من أهل مصر ــ وقال البرك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا ــ وتواثقوا الله ــ أن لا ينكص أحدكم عن صاحبه الذي توجه الرمية حتى يقتله أو يموت دونه وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة (تخلوا) من رمضان وقصد كل رجل منهم الجهة التي يريد، فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بالكوفة وكتمهم أمره ، ورأى يوما أصحابا له من تميم الرباب وكان علي قد قتل منهم يوم النهروان عدة فتذاكروا قتلى النهر . (٣٥)

وهكذا ازداد حقد هؤلاء الثلاثة الذين عزموا النية على قتل علي ومعاوية وعمرو ، وكان أولهم عبد الرحمن بن ملجم والذي نجح في مهمته دون صاحبيه ، فعندما قدم ابن الملجم إلى الكوفة ، وكتم أمره ، وتزوج امرأة من المحكمة كان أخوها في حرب المحكمة أنفسهم ، وتزوجها على أن تقتل علياً ــ كما روى ابن ملجم نفسه أنه فقد كثيراً من أهله في معركة النهروان ، فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيها خرج ابن ملجم فقعد لعلي حين صلاة الصبح صبيحة نهار الجمعة ، ليلة عشر بقيت

(٣٥) ابن الأثير ــ الكامل في التاريخ ج٣ص١٩٥ .

من رمضان سنة أربعين ... فلما خرج للصلاة وثب عليه قال : الحكم لله لا لك يا علي ، وضربه على رأسه بالسيف ، فقال علي : فزت ورب الكعبة ، ثم قال : لا يفوتنكم الرجل ، فشدوا عليه فأخذوه .(٣٦)

وظنت الإباضية أن بقتلهم علي رضي الله عنه ستهنأ لهم الدنيا ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فاستشهد علي وكتبت له الجنة بإذن الله ، أما هم فقد باءوا بكبيرة إلى جانب تكفيرهم الناس وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال الحسن بن كثير عن أبيه قال : خرج علي من الفجر أقبل الإوز يصحن في جهة فطردهن عنه فقال : ذروهن فإنهن نوائح ، فضربه ابن ملجم في ليلته ، وقال الحسن بن علي يوم قتل علي: البارحة وأبي يصلي في مسجد داره فقال لي : يا بني إني بت أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر فملكتني عيناني فنمت فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟

قال : والأود العوج واللدد الخصومات ، فقال لي : ادع عليهم ، فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم ، وأبدلهم بي من هو شر مني ، فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن ملجم فقتله وكان عليه السلام إذا رأى ابن ملجم : أريد حياته ويريد قتلى عذريك من خليلك مراد .(٣٧)

ونسي هذا القاتل فضل الإمام علي رضي الله عنه في الإسلام ومناقبه التي لا تنسى منذ أن أسلم على يد النبي ﷺ ، فهو أول صبي في الإسلام ، وقد

(٣٦) الطبرى ــ تاريخ الأمم والملوك ج٦ص٨٥ بتصرف وتلخيص.
(٣٧) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ ص١٩٥.

كرم وجهه لأنه لم يسجد لصنم قط ، وإذا تداركنا مناقبه فإننا لا ننسى شجاعته في إبقائه في فرش النبي ﷺ ليلة الهجرة ورغم ما حدث له من قاتله إلا انه استخدم معه الحوار الهادئ الذي فيه وصيه بعدم التنكيل به ، وعدم اخذ أهله وأقاربه بصنيعه فعندما ضُرب على من ابن ملجم قال علي : احضروا الرجل عندي فأدخل عليه ، فقال : أي عدو الله ألم احسن إليك ؟ قال : بلى ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال على : لا أراك إلا مقتولاً به ولا أراك إلا من شر خلق الله ، ثم قال : النفس بالنفس ، إن هلكت فاقتلوه كما قتلني وإن بقيت رأيت فيه رأيي ، يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون : قد قتل أمير المؤمنين ، ألا لا يقتلن إلا قاتلي ، انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربه بضربة ، ولا تمثلن بالرجل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور** " .

هذا كله وابن ملجم مكتوف فقالت له أم كلثوم ابنة علي : أي عدو الله لا بأس على أبي والله مخزيك ، قال : فعلى من تبكين ؟ والله إن سيفي اشتريته بألف وسممته بألف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقى منهم أحد . " (٣٨)

(٣٨) المرجع السابق ص١٩٦

أحوال الإباضية بعد مقتل علي .

حرصت الإباضية على أن تجعل مقتل علي حالة فردية قام بها أحد المتطرفين منهم ، فلا يعني مقتل علي أو قتل المسلمين على يد الخوارج أن الإباضية منهم أو كانت موافقة لما يحدث من سفك دماء المسلمين مرات ومرات على يد الخوارج ، فذكرت الإباضية أنه لم يكن لهذه الجماعة المحكمة قائد يجمعهم على رأي واحد ويوجه جهودهم ويحدد خطواتهم ، ولكن تفرقوا وانقسمت صفوفهم وآرائهم ، فكان منهم المتشدد المتطرف الذي أدرجوه تحت مسمى الخوارج ، ومنهم الذين قالوا عنهم إنهم معتدلون دعاة حق سموا بالإباضية ونُسبوا لعبد الله بن إباض ، أما قبل ظهور عبد الله بن إباض فكان هناك دعاة كان منهم **عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص ابن زهير** وقد قُتلا بالنهروان وتولى أمر الجماعة الإباضية ــ قبل تسميتها بهذا الاسم ــ **أبو بلال مرداس بن حدير** أحد بني ربيعه بن حنظلة بن مالك بن زيد بنى تميم مناة وادية جدته ، وقيل أمه ، وقيل ليس جدير ولكن جدير.

" كان أبو بلال من خيرة المسلمين ، بلغ في الورع والديانة والعلم والصيانة الأمد الأقصى . " (٢٩)

فهذه مكانته عند الإباضية ، ثم يوصلون تلك المكانة بتواجده بشيعة علي بن أبي طالب ﷺ وقتاله في معركة صفين ثم بعد ذلك لم يرتض حكم الحكمين فأصبح من جماعة المحكمة وصارت له مكانة عالية في وسطهم.

---

(٢٩) الحارثي ــ العقود الفضية ص١٠٧وص٢١٤ .

قال الدارجيني : " وكان ممن شهدوا مع الإمام علي بن أبي طـــالب ﷺ واقعة صفين وحارب في صفوفه وأبلى بلاء حسناً .. إلى أن كان التحكيم أنكره البعض لما رأوا فيه من مخالفة وجه الحق ، فكان أبـــو بـلال ــ وأخوه عروة ــ ممن أنكروا بشدة وكان من الذين نجوا من القتــل ، وإن أول سيف سل للمحكمة كان سيف عروة بن أدية ، وذلك أن الأشعث بــن قيس لما جاء بصحيفة دعوة أهل الشام في صفين إلى الحكميـــن جعــل الأشعث يطوف بها في منازل أهل عسكر العراق من منزل إلى مــنزل ، حتى أتى بني تميم ، فسل عروة سيفه ، وأقبل على الأشعث فقـــال : مـا هذه الدنية يا أشعث وما هذا التحكيم ؟ أشرط أوثق من شــرط الله ؟ ثـم ضربه بالسيف والأشعث مولى فأصاب بالسيف عجز البغلـــة ، فشـبت البغلة ، فنفرت اليمانية ، وكانوا جل أهل العسكر فلما رأى الأحنف بـــن قيس (زعيم بنى تميم) قصد هو وآخرون إلى الأشعث فسألوه الصفــح ففعل [٤٠]

ثم جاء من بعده عمران بن حطان ، ذكرت عنه كتبهم : " لقد كان عمران ابن حطان السدوسي من الشخصيات البارزة والمهمة ، وكـــان شـاعراً ومحدثاً ، وعالماً وفقيهاً ، ويصفه مؤرخو الإباضية بأنه من الشراة ، وهو النهاية في الورع واطراح الدنيا كل الاطراح لما خصه الله ﷻ من فنـون العلم والنزاهة والحلم وشهامة الجنان وفصاحة اللسان ، وقد نشط عمـران ابن حطان في الدعاية ضد الحكم الأموي ومعارضته له ، وكـــان فــي دعايته ــ وهو الشاعر الفحل ــ شديد المراس ، مثير للمتاعب ، حتى لقد

(٤٠) الدارجيني ــ الطبقات ص٢١٤.

أفزع أمره **الحجاج بن يوسف** فجعل يطارد عمران وهو يتنقل بين القبائل، فكان إذا نزل في حي انتسب نسباً يقرب منه .(٤١)

ثم جاء بعد أبي بلال وعمران **جابر بن زيد** ، وتروي الكتب الإباضية أن جابراً كان له دور هام وخطير في سير الحركة الإباضية ، حيث وجه مسارها إلى التقية والاختفاء عن أعين بني أمية ، حيث كانوا يبطشون بهم ، قال **الدكتور صالح بن أحمد الصوافي** ــ وهو من الإباضية ــ :

" وإذا كان **جابر بن زيد** لم يُعرف ــ في تلك الفترة ــ على أنه له علاقة بتلك الجماعة ــ فضلاً عن توليه زعامتها ــ فإن واقع الأمر أنه هو الزعيم لمذهبها المحدد الأسلوب ، بل لعله كان صاحب الرأي في اختيار التقية ، وبصفة خاصة لأن هذا المذهب يقوم في أساسه على الاعتدال ، وتجنب العنف وعدم التعرض لسائر المسلمين وعدم تكفير من لم يذهب مذهبهم ، وبذلك يكون من الميسور أن يخفي أمره ، وألا يجعل لمن هم عدا أفراد جماعته سبيلاً لمعرفة حقيقة صلته بهم ، مع أن الثابت أن **جابر بن زيد** كان وراء كل ما قام به أبو بلال ، وأن هذا الأخير لم يكن ليمضي لأمر إلا بمشورة جابر .(٤٢)

من هذا النص نخلص إلى نقاط تحدد ملامح فرقة الإباضية وهي :

أولاً : أن **جابر بن زيد** يُعد زعيم فرقة الإباضية ولكنه كان يفضل عدم ظهوره وإظهار غيره ليتحدث بما يدبره ويعتقده .

---

(٤١) الدرجيني : طبقات المشايخ ص٢٢٧.

(٤٢) الدكتور / صالح بن أحمد الصوافي ــ الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة ص١٤٨ ج١ سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة ص١٤٨.

ثانياً : أن جابر بن زيد آثر الاختفاء والتقية عن يد حكام بني أمية حيث التفكير الهادئ المنظم لحركة الجماعة دون إظهاره أو التحدث بلسان العلن حتى لا يُضطهد ويبقى للجماعة عقلها المدبر .

ثالثاً : أن الفضل لا يرجع إلى أبي بلال وعمران في تنظيم حركة الإباضية ، بل إن الفضل كله ينسبه الدكتور صالح إلى جابر بن زيد في تنظيم الحركة الإباضية وتقنينها ، إلى درجة أنه يستبعد أيضاً فضل عبد ابن إباض الذي تنسب إليه الفرقة ويعتبره أنه مثل سابقيه كآلة يحركها عقل جابر بن زيد .

رابعاً : نسبوا إلى جابر بن زيد الفضل في العلم في مجال الفقه والحديث واتباع السلف في اعتدالهم وفهمهم عن النبي ﷺ .

* أقام جابر بن زيد بالبصرة ، وعرف فيها بالفقيه المحدث ، وكان أحد اثنين يلجأ إليهما البصريون ــ بخاصة ــ والعراقيون ــ بعامة ــ يطلبون منهم الرأي والفتوى في أمور دينهم ولم يشتهر عنه أن له صلة ما بتلك الجماعة التي عُرفت بالقعدة ثم بالإباضية .

وعرف الناس من أمر تلك الجماعة الكثير وعرفوا أن زعيمها هو أبو بلال .. فلما مات أبو بلال ، واشتدت السلطة الحاكمة على أفراد تلك الجماعة وولي أمرهم عمران بن حطان ، أقر جابر وآثرت جماعته أن يظل أمره مستوراً ، ولعل مرجع ذلك ما رأوه من عظم الخسارة فيما لو اشتهر أمر جابر وأخذوه بالشدة ، فإن ذلك يُفقد الجماعة عقلها المدبر ، وزعيمها الحقيقي ، وقد بالغ جابر في التخفي حتى لقد قدم سواه للتحدث باسم الجماعة ومناظرة خصومهم وكان عبد الله بن إباض أحد أولئك الذين تحدثوا كثيراً باسمهم ، حتى لقد ظن أنه هو الزعيم الحقيقي

للجماعة، فنسبها الآخرون إليه وعرفوها بأنها جماعة الإباضية ، مع أن عبد الله بن إباض لم يكن إلا واحداً من أفرادها قدمه زعيمها جابر بن زيد للتحدث عنهم ومناظرة خصومهم .(٤٣)

وجعلت الإباضية جابر بن زيد في مكانة رفيعة إلى درجة أنهم يذكرون رواية عن ابن عباس ﷺ مغزاها أن ابن عباس قال في حق جابر :

" عجباً لأهلِ العراق كيف يحتاجون إلينا وفيهم جابر بن زيد . "(٤٤)

ولكن لماذا نُسبت هذه الجماعة إلى ابن إباض بالذات دون غيره ممن سبقوه كأبي بلال أو عمران أو جابر بن زيد ؟

وتجيبنا المراجع الإباضية إلى أن خصوم هذه الحركة هم الذين أطلقوا على هذه الجماعة اسم الإباضية ونسبوها إلى عبد الله بن إباض ، أما هذه الجماعة فكانوا يطلقون على أنفسهم مسمى المحكمة أو القعدة أو جماعة المسلمين أو أهل الحق ، يعنون بذلك أنهم على حق دون غيرهم ممن ارتضوا بالتحكيم وبحكم أبي موسى وعمرو ، هذا إلى جانب أن ابن إباض كان لسان هذه الجماعة فكان يتحدث باسمهم ويناظر خصومهم ، أما بالنسبة لجابر بن زيد فلا نستطيع أن نقول إن الجماعة تنسب إليه ؛ وهذا لأنه كان يفضل التخفي والتقية ، فالناس لا يعرفونه أنه منتسب لهذه الجماعة وأنه عقلها المدبر .

يقول عوض حليفات :- " إن المصادر الإباضية الأولى لم تشر إلى هذا الاسم إطلاقاً بل كانت تصفهم أنهم المسلمون أو جماعة المسلمين أو أهل الدعوة ."(٤٥)

---

(٤٣) صالح بن أحمد الصوافي ـ الإمام جابر بن زيد النعماني ص١٥٢.

(٤٤) السيابي ـ إزالة الوعثاء ص١٧ وانظر العقود الفضية ص٩٥.

(٤٥) د .عوض حليفات ـ نشأة الحركة الإباضية ص٨١.

وأن المصادر الإباضية وغيرها من مخالفيهم قد نسبوها إلى ابن إباض دون غيره ، حيث شهرته في إلجام خصومه ، وكان ابن إباض ينتمي إلى قبيلة تميم وعاش بالبصرة معظم حياته وكان معاصراً لجابر بن زيد ، وإن كان أصغر منه عمراً .(٤٦)

إلا انه تميز بعدة ميزات منها : " إمام أهل الطريق وجامع الكلمة لما وقع التفريق ، فهو العمدة في الاعتقادات ، والمبين لطريق الاستدلالات والاعتمادات والمؤسس للأبنية وهى مستندات الأسلاف ، وكان رأس العقد ورئيس من في البصرة وغيرها من الأمصار ، والمتقدم في حلبة الفضل بين أولئك الأخيار ، قعد عن اللحاق فاشتراه من غير إنكار ، وقلى ما اعتقده ابن الأزرق في المحمدية ، وعدل عن طريق النجدية ، وسلك حجة العدل وكان قدوة لأهل الفضل فإليه النسبة اليوم في العقائد معدولاً بها عن اسم الوليد إلى اسم الوالد ، طلباً للتخفيف واختصاص الأشهر ، وذلك في الحق معروف لا ينكر ."(٤٧)

ولذا سميت الجماعة باسم الإباضية دون غيرها مما لو انتسب إلى أحد الأئمة من قبله كما ذكرنا ذلك مسبقاً ، وذكرنا أن خصوم الإباضية هم الذين أطلقوا هذا الاسم لابن إباض دون غيره من أهل الحركة والجماعة، ورغم ذلك إلا أنهم ــ الإباضية ــ تقلل من شأن ابن إباض قليلاً في مكانته بالنسبة لسابقيه مثل جابر بن زيد بالتحديث حيث يقولون :-

"إن هناك حقيقتين مؤكدتين في هذا الشأن:

الأولى:- أن هذه الجماعة لم تُطلق على نفسها اسم " الإباضية " ، بل كانوا يسمون أنفسهم " أهل الدعوة ، أو جماعة المسلمين "

---

(٤٦) ابن قتيبة ــ المعارف ص٦٢٢ والكامل للمبرد ج٢ص٢٧٥.

(٤٧) الدارجيني ــ طبقات المشايخ ــ الجزء٢ص٢١٤.

الثانية : أن تسمية الإباضية إنما أطلقها على هذه الجماعة مخالفوهم في فترات تالية ، وربما كان الأمويون ــ كما يرى البعض ــ هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم ، " نسبة إلى عبد الله بن إباض ؛ لأن الأخير كان من علمائهم وشجعانهم والمناظر باسمهم ، كما أن الأمويين لا يريدون نسبة هذه الفرقة إلى جابر حتى لا يجذبوا إليه الأنظار ولا يبدو في حياة جابر المشرقة ، فتميل إليهم النفوس ، فنسبوهم إلى عبد الله بن إباض وهو أقل منزلة من جابر في العلم ، وإن كان لا يقل عنه في التقوى والورع والصلاح " (٤٨)

ونخلص مما سبق إلى أن عبد الله بن إباض كان أظهر وأشهر من تحدثوا عن هذه الجماعة ولذلك نُسبت الجماعة إليه ، أما التقليل من شأنه سواء في العلم أو المكانة الحركية بالتدبير والتخطيط الحركي فهذا لا يعنينا في كثير أو قليل .

ومن الجدير بالذكر أن الإباضية هي التي قالت إن جابر بن زيد هو الذي آثر التقية والاختفاء عن أيدي حكام بني أمية ، ونحن بما اشتهر في المصادر والمراجع الأولى سواء أكانت إباضية أم غير ذلك ، ولا يعنينا فضل هذا على ذلك أو العكس ممن ذكروا عن جابر بن زيد وفضله على غيره من سابقيه أو لاحقيه ، ولكن يعنينا فرقة الإباضية التي تنسب إلى ما اشتهرت به من النسبة إليه وهو عبد الله بن إباض وهو : من بني مرة بن عبيد بن تميم خرج في آخر دولة بني تميم . (٤٩)

---

(٤٨) محمد على دبوز ــ تاريخ المغرب الكبير ج٢ .

(٤٩) الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ص١٣٤.

قالت عنه الإباضية : " كان ابن إباض المجاهد علناً ، المناضل في سبيل تحقيق الحقائق وتوضيح قضايا المعقول فيما أحدثه أهل المقالات والبدع من الزور والافتراء في شريعة ربنا ، وكان شديداً في الله تعالى ، وله مناظرات مع أهل التنطس والتفلسف ، كان الحجة الدامغة التي يخنس أمامها كل ثرثار ، وله كلام مع **عبد الله بن مروان** يهضم نفس كل جائر جبار ، تغلب على المسلمين أصحابه الذين يقولون بقوله : الإباضية وتسمَّى المذهب باسمه على هذا المعنى . (٥٠)

فهذه هي مكانة عبد الله بن إباض زعيم الإباضية ومنشئها على الأشهر .

وسوف نذكر فرقهم ومدى صلتهم بفرقة الخوارج في موضعه بإذن الله تعالى .

فرق الإباضية .

لكي يمكننا تحديد مكانة الإباضية من جميع فرق الإسلام ينبغي علينا أن نحدد بالضبط منبع هذه الفرقة وإلى أي الفرق انقسمت ، وقد ذكر ذلك البغدادي في الفرق بين الفرق ، حيث أشار إلى أن الإباضية من فرق الخوارج ، وأنها انقسمت إلى أربع فرق ، منها ما هو معتدل ومنها ما هو متطرف في الرأي والاعتقاد بسبب قولهم في الدين بما ليس منه ، مثل فرقة اليزيدية .

قال البغدادى في الفرق بين الفرق : " أما الخوارج فإنها لما اختلفت صارت عشرين فرقة وهذه أسماؤها : المحكمة الأولى ، والأزارقة ، ثم النجدات ، ثم الصفرية ، ثم العجاردة ، وقد افترقت العجاردة فيما بينها

(٥٠) الشماخي ــ السير ص٢٢٧.

فرقاً كثيرة منها الخازمية والشعيبية والمعلومية والمجهولية والمعبدية والرشيدية والمكرمية والحمزية والإبراهيمية والواقفة ، وافترقت الإباضية منها فرقاً حفصية وحارثية ويزيدية وأصحاب طاعة لا يراد الله بها ، واليزيدية منهم أتباع ابن يزيد بن أنيس ليست من فرق الإسلام لقولها بأن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم ، وكذلك في جملة العجاردة فرقة يقال لها الميمونية ليست من فرق الإسلام لأنها أباحت نكاح بنات البنات وبنات البنين كما أباحته المجوس . ٠[٥١]

وأيضا ذكر ذلك الشهرستاني في الملل [٥٢] والاشعري في المقالات [٥٣] من أن الإباضية فرقة من فرق الخوارج ، وأن عبد الله بن إباض كان مصاحباً لابن الأزرق وابن الصفار ونجدة بن عامر ٠

أول من بدء الخلاف بين الخوارج نافع بن الأزرق حيث أعلن البراءة لكل من لا يقصد عسكره وزاد على ذلك في تكفيره .

وبنى على ذلك أحكام شرعية منها عدم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا قبول شهادتهم ولا موارثتهم ، وأحل ذبح الأطفال واستعراض النساء وهذا ما شاهدناه وسمعنا عنه أخيراً في الجزائر ، وقد أخذ ابن إباض منه شرك المسلمين دون كفرهم وكذبه في الأحكام التي ذكرها وأحل دماء المسلمين فقط .

وقد تبرأ ابن الصفار من ابن الأزرق لغلوه فيما ذهب إليه وتبرأ أيضاً ابن الصفار من ابن إباض لما ذهب إليه من قول واعتقاد في المسلمين .

---

(٥١) عبد القاهر البغدادي ــ الفرق بين الفرق ص١٨.

(٥٢) الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ ص١١٤.

(٥٣) أبو الحسن الأشعري ــ مقالات الإسلاميين ص٨٦.

قال ابن الأثير في الكامل :-

" وتفرق القوم فأقبل **نافع بن الأزرق الحنظلي** ، **وعبد الله بن الصفار السعدي** ، **وعبد الله ابن إباض** ، **وحنضلة بن نيهس** ، **وبنو الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع** ، وكلهم من تميم حتى أتو البصرة ، وانطلق **أبو طالوت من بنى بكر بن وائل** ، **وأبو فديك عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة** ، **وعطية بن الأسود اليشكري** إلى اليمامة فوثبوا بها مع أبى طالوت ، ثم أجمعوا بعد ذلك على نجدة بن عامر الحنفي وتركوا أبا طالوت ، فأما نافع وأصحابه فإنهم قدموا البصرة وهم على رأي أبى بلال واجتمعوا وتذاكروا فضيلة الجهاد ، فخرج نافع على ثلاثمائة وذلك عند وثوب الناس بابن زياد ، وكسر الخوارج باب السجن وخرجوا ، واشتغل الناس عنهم بحرب الأزد وربيعة وتميم ، فلما خرج نافع تبعوه وأصطلح أهل البصرة على **عبد الله بن الحرث** فتجرد الناس للخوارج وأخافوهم ، فلحق نافع بالأهواز في شوال سنة أربع وستين وخرج من بقي منهم بالبصرة إلى ابن الأزرق إلا من لم يرد الخروج يومه ذلك منهم **عبد الله بن الصفار وعبد الله بن إباض** ورجال معهما على رأيهما ، ونظر نافع فرأى أن ولاية من تخلف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحل له وأن من تخلف عنه لا نجاة له ، فقال لأصحابه ذلك ودعاهم إلى البراءة منهم وأنهم لا يحل لهم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا يجوز قبول شهادتهم وأخذ عِلْم الدين عنهم ، ولا يحل ميراثهم ، ورأى قتل الأطفال والاستعراض ، وأن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل فأجابه إلى ذلك بعضهم وفارقه بعضهم ، وممن فارقه **نجدة بن عامر** وسار إلى اليمامة فأطاعه الخوارج الذين بها وتركوا أبا طالوت ، فكتب نافع إلى ابن

إياض، وابن الصفار يدعوهما ومن معهما إلى ذلك ، فقرأ ابن الصفار الكتاب ولم يقرأه على أصحابه خشية أن يتفرقوا ويختلفوا فأخذه ابن إياض فقرأه ، فقال : قاتله الله أي رأي رأى ؟ صدق نافع لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً وكانت سيرته كسيرته في المشركين ولكنه قد كذب فيما يقول : إن القوم برآء من الشرك ولكنهما كفار بالنعم والأحكام ولا يحل لنا إلا دماءهم وما سوى ذلك فهو حرام علينا ، فقال له ابن الصفار: برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا، فقال الآخر : برئ الله منك ومنه .(٥٤)

وقد وافق الحارثي ابن الأثير في مصاحبة ابن إياض لابن الأزرق وابن الصفار في بداية أمرهما ثم اختلفوا بناء على اعتقاد كل واحد منهم في حكمه على المسلمين .

قال الحارثي :" وكان من هؤلاء القعدة عبد الله بن إياض وابن الصفار وابن الأزرق ، وبعد أن استقر بهم المقام في البصرة راحوا يتناقشون فيما يمضون إليه من أمر بعد ذلك ، وقد اتفقوا على الخروج ، ومع ذلك تروي المصادر أنه " لما جن الليل ، سمع عبد الله دوي القراء ، ورنين المؤذنين وحنين المسبحين ، فقال لأصحابه : أعن هؤلاء أخرج معهم ؟ فرجع وكتم أمره واختفي مؤثراً البقاء وعدم مفارقة الجماعة ." (٥٥)

وهذا واضح من عدم مفارقة ابن إياض صفوف الجماعة الذي هو منهم ، إلا انه اختلف معهم في بعض الأحكام التي سبق أن ذكرناها ، التي على رأسها أن المسلمين كفار بالنعمة وبالأحكام وأنهم مشركون كمشركي

---

(٥٤) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ ص٣٣٦.

(٥٥) الحارثي ــ العقود الفضية ص١٢٢ .

العرب ، بينما ذهب عبد الله بن يحيى الإباضي إلى أن المسلمين كفار غير مشركين .

وهذا ما ذكره الشهرستاني في الملل حيث قال :-

" قيل : إن عبد الله بن يحيى الإباضي كان رفيقا لعبد الله بن إباض في جميع أحواله وأقواله ، قال : إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وأموالهم حلال وغنيمة ، وأموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما سواه حرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة ، وقالوا : إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد ، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغى ."(٥٦)

فالأمر متضارب بين أئمة الإباضية ، فبينما يذكر ابن إباض أن مخالفيهم من أهل القبلة مشركين كفار نعمة ، يقول عبد الله بن يحيى الإباضي إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ، هذا اضطراب واضح فيما اعتقدوه وذهبوا إليه وما أراهم إلا قد باءوا هما بإحداهما أو بالاثنين والعياذ بالله .

وهذا جانب ضئيل من معتقداتهم التي سوف نعرضها بالتفصيل في موضعه بإذن الله.

أما بالنسبة لفرقهم فنحن قد ذكرنا أن ابن إباض كان واحداً من جماعة القاعدة التي تفرقت بعد ذلك وسموا بمسميات جلية ضمنتها كتب الملل والنحل ، والمقالات ، والفرق بين الفرق أن كلهم خوارج ، وأيضا ابن حزم في الفصل قد جعل أحد فرق الإباضية منسوبة للخوارج وهى فرقة

(٥٦) الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ ص١٣٤.

البزيدية ، وسوف نذكر ملامح فرق الإباضية من خلال تلك المصادر ، فقد أجمعت تلك المصادر على أن الإباضية قد انقسمت إلى أربعة فرق وهم :

الحفصية ــ الحارثية ــ اليزيدية ــ وأصحاب طاعة لا يُراد الله بها .

أولاً : فرقة الحفصية .

هذه فرقة من فرق الإباضية لها آراء غريبة ، أولها قولهم إن معرفة الله هي الفيصل بين إيمان العبد بالله وشركه ، وأن الذي يرتكب المحرمات فإنه لا يُعد مشركاً بل كافراً (ساتراً لأحكام الله) .

أما الكفر لديهم فهو الجهل بالله أو إنكاره ، وقد تأولوا بالذنب في عثمان وعلي كما تأولت الشيعة في ذم أبي بكر وعمر ، وأيضاً مدحت الحفصية في عبد الرحمن بن ملجم ، كل ذلك مستدلين عليه بآيات من القرآن الكريم أولوها بحسب زعمهم وعقولهم المريضة ومعتقداتهم الفاسدة .

ذكر صاحب المقالات وصاحب الفرق بين الفرق وصاحب الملل والنحل أن :-

" هذه الفرقة أول فرق الإباضية ، وهي منسوبة إلى **حفص بن أبي** المقدام زعم أن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة وهي معرفة الله عز وجل ، فمن عرف الله ثم كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار أو عمل بجميع الخبائث من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر ما حرم الله ﷻ من فروج النساء فهو كافر برئ من الشرك ، وكذلك من اشتغل بسائر ما حرم الله مما يؤكل ويشرب فهو كافر برئ من الشرك ، ومن جهل بالله سبحانه وأنكره فهو مشرك فبرئ ، وتأولوا في عثمان نحو ما تأولت الشيعة في أبى بكر وعمر وزعم أن علياً هو الحيران الذي ذكره

الله في القرآن ، قال تعالى :

﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ... ﴾ الأنعام ٧١ .

وأن أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى أهل النهروان .

وزعم أن علياً هو الذي أنزل الله سبحانه فيه :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ..﴾ البقرة ٢٠٤ .

وأن عبد الرحمن بن ملجم هو الذي أنزل فيه :**﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ .﴾ البقرة ٢٠٧.**

ثم قال بعد ذلك : الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله ، فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله . (٥٧)

ثانياً : فرقة الحارثية .

هذه الفرقة منبوذة من فرق الإباضية ؛ لأنهم قالوا في أفعال العباد بالاستطاعة والقدرة مثل المعتزلة ، وقد كفرتهم الحفصية واليزيدية وأصحاب طاعة لا يُراد الله بها .

لأن هؤلاء قالوا إن أفعال العباد مخلوقة لله مثل أهل السنة .

وزعمت الحارثية أيضاً أن ليس لهم إمام سوى عبد الله بن إباض وحارث بن يزيد الإباضي مستبعدين بذلك إمامة عبد الله بن وهب وأبي بلال وعمران وجابر بن زيد .

(٥٧) انظر : أبا الحسن الأشعري ــ مقالات الإسلاميين ص١٠٢
وأيضاً عبد القاهر البغدادي ص٨٣ ، وأيضاً الشهرستاني في الملل والنحل ج١ص١٣٢.

قال الشهرستاني والاشعري :-

" هؤلاء أصحاب **حارث بن يزيد الإباضي** ، وهم الذين قالوا في باب القدر بمثل قول المعتزلة وزعموا أيضاً أن الاستطاعة قبل الفعل . "(٥٨)

وقد زاد البغدادي بقوله :-" وقد كفرهم سائر الإباضية في ذلك ؛ لأن جمهورهم على قول أهل السنة في أن الله تعالى خالق أعمال العباد وفي أن الاستطاعة مع الفعل ، وزعمت الحارثية أنه لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الأولى إلا **عبد الله بن إباض** وبعده **حارث بن يزيد الإباضي**".(٥٩)

ثالثاً : أصحاب طاعة لا يراد الله بها .

زعمت هذه الفرقة أنه يصح وجود طاعات لا حد لها ممن لا يريد الله تعالى بها ، وهذا مثل ما قال به أبو الهزيل وأتباعه من القدرية .

قال الأشعري :- " أصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها على مذهب "أبي الهزيل " ومعنى ذلك أن الإنسان قد يكون مطيعاً لله إذا فعل شيئاً أمره الله تعالى به ، وإن لم يقصد الله بذلك الفعل ولا أراده به . "(٦٠)

لكن هذا لا يصح إلا في طاعة واحدة فقط وهى النظر و الاستدلال على وجود الله ووحدانيته ؛ لأنه قبل معرفة ذلك كيف يكون متقرباً إلى من لم يستدل عليه بعد ؟

قال البغدادي : " قال أصحابنا أن ذلك لا يصح إلا في طاعة واحدة وهو النظر الأول إذا استدل به كان مطيعاً لله تعالى في فعله وإن لم يقصد به

(٥٨) الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ ص١٣٦، وأيضاً أبو الحسن الاشعري ص ١٠٤ .

(٥٩) عبد القاهر البغدادي ــ الفرق بين الفرق ص٨٤.

(٦٠) أبي الحسن الأشعري ــ مقالات الإسلاميين ص ١٠٥.

التقرب إلى الله تعالى لاستحالة تقربه إليه قبل معرفته ، فإذا عرف الله تعالى فلا يصح منه بعد معرفته طاعة منه لله تعالى إلا بعد قصده التقرب بها إليه ." (٦١)

رابعاً : فرقة اليزيدية .

هذه الفرقة من غلاة الإباضية وهي منسوبة إلى **يزيد بن أبي أنيسة الخارجي** ، وهو ليس المحدث المشهور ، وكان من البصرة ثم انتقل إلى تون بأرض فارس ، وكانت له آراء متطرفة ، منها عدم إيمانه بأن محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن الله سيرسل نبي آخر الزمان من العجم ويكون من غير العرب ، بل من العجم ــ وبالتحديد من العجم ــ وأنه سيأتي بكتاب سماوي ناسخاً لشريعة الإسلام ، وأتباعه سيكونون من الصابئة المذكورين في ثلاثة مواضع من القرآن . (٦٢)

وأقر بإيمان أهل الكتاب الذين اعترفوا بنبوة سيدنا محمد ﷺ وإن لم يدخلوا في دين الإسلام مثل : العيسوية والريعانية ، وكان يقول :-

" إن في هذه الأمة شاهدين عليها هو أحدهما والآخر لا يدري من هو ولا متى ولا يدري لعله قد كان قبله ، وأن من كان من اليهود والنصارى يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى العرب لا إلينا ــ كما تقول العيسوية من اليهود ــ قال فإنهم مؤمنون أولياء الله تعالى وإن ماتوا على

---

(٦١) عبد القاهر البغدادي ــ الفرق بين الفرق ص٨٥.

(٦٢) قوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) سورة البقرة ٦٢.
وقوله تعالى(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) سورة المائدة رقم ٦٩ .
وقوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) الحج رقم ١٧.

هذا العقد على التزام شرائع اليهود والنصارى ، وأن دين الإسلام سينسخ بنبي من العجم أتى بدين الصابئين وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة."(٦٣)

ورغم هذا التطرف والغلو فيما ذكر زعم أنه هو وأتباعه على الحق وأن من كذب أقواله واستنكرها فهو غير مسلم ، وقد تولى المحكمة الأولى ، ثم تبرأ من كل ما جاء بعده ، ورد ما قالته الحفصية في إكفار من ارتكب المحرمات أو أنكر أحد الأنبياء فهو بريء من الشرك .

قال صاحب المقالات عن اليزيدية : " نتولى المحكمة الأولى ونتبرأ ممن كان بعد ذلك من أهل الأحداث ونتولى الإباضية كلها ، ويزعمون أنهم مسلمون كلهم إلا من بلغه قولنا فكذبه أو من خرج ، وخالفوا الحفصية في الإكفار والتشريك وقالوا بقول الجمهور ، وحكى يمان بن رباب أن أصحاب يزيد بن أنيسة قالوا بالتشريك وتولى يزيد المحكمة الأولى قبل نافع وبرئ ممن كان بعدهم ، وحرم القتال على كل أحد بعد تفريقهم وثبت على ولاية الإباضية إلا من كذبه أو بلغه قوله فرده ." (٦٤)

وهذه الفرق الأربع قد اختلفوا في مسمى النفاق على ثلاثة آراء :-

الأول:- أن مسمى النفاق لا يطلق إلا على جماعة معينين كانوا في عصر النبي ﷺ دون غيرهم .

والرأي الثاني : ذهب إلى أن كل منافق مشرك ؛ لأن النفاق ضد التوحيد ومغاير للتوحيد .

---

(٦٣) ابن حزم الظاهري ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ط دار الفكر ١٩٨٠ ج٤ ص١٨٨ وانظر عبد القاهر البغدادي الفرق بين الفرق ص٢٦٣ وانظر الشهرستاني / الملل والنحل ج١ ص١٣٦ .

(٦٤) أبو الحسن الأشعري ـ مقالات الإسلاميين ص١٠٣ .

وأما الرأي الثالث : فقد ذهب إلى أن النفاق لا نستطيع وصفه بالشـــرك ولا بالإيمان ولكنه بين هذا وذاك محتجين بأية النساء

قال ﷻ: ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاءِ.. ﴾ النساء١٤٣ .

قال صاحب المقالات وصاحب الفرق وصاحب الملل والنحل عن ذلك:–

" واختلفوا في النفاق على ثلاثة أقوال ، فقال فريق منهم إن النفاق بـراءة من الشرك والإيمان جميعاً واحتجوا بقول الله عز وجل في المنافقين :

﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاءِ.. ﴾ سورة النساء ١٤٣ .

وفرقة منهم قالت كل نفاق شرك لأنه يضاد التوحيد .

وفرقة ثالثة قالت لا نزيل اسم النفاق عن موضعه ولا نسمي بالنفاق غير القوم الذين سماهم الله تعالى منافقين ، ومن قال منهم بأن المنـــافق ليـس بمشرك وزعم أن المنافقين على عهد رســـول الله ﷺ كـــانوا موحديـن وكانوا أصحاب كبائر فكفروا وإن لم يدخلوا في حد الشرك . " (٦٥)

الإباضية تنكر صلتها بالخوارج .

ذكرنا فيما سبق أن لفظ خارجي أو خوارج هو كل من خرج عن صـــف الإمام الذي اتفقت عليه جموع الأمة بأسرها ، وهذا التعريف بمعناه العـلم لا يختص بزمن معين ولا بمكان بعينه ، ولكن مسمى الخـــوارج الـــذي علمناه من كتب التراث أطلق على جماعة معينة معروفة زمنها ومكانها ، وهم الذين خرجوا في معركة صفين على **الإمام على بن أبي طالب** ﷺ ، كان أوضح من سموا في هذه الكتب ووصفوا بالخروج عن صف الإمـــام **على بن أبي طالب** ﷺ هم : **الأشعث بن قيس الكندي** ، **ومســـعر ابـن**

(٦٥) أبو الحسن الأشعري صاحب المقالات ص١٠٣ وأنظر عبد القـــاهر البغـــدادي ص٨٥ وأنظر الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ ص١٣٥

فدكي التميمي ، وزيد بن حصين الطائي وكان أشهر ما قالوه (إن الحكم إلا لله) وهذه كلمة حق أريد بها باطل ، حيث جادلوا الإمام علي ﷺ كثيراً بهذه الكلمة التي تستروا خلفها .

" وكانوا يقولون القوم يدعوننا إلى كتاب الله ، وأنت تدعونا إلى السيف " حتى قال : أنا أعلم بما في كتاب الله " انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول : كذب الله ورسوله ، وأنتم تقولون : صدق الله ورسوله قالوا : لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين ، وإلا فعلنا بك مثل ما فعلنا بعثمان ، فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع ، وولوا مدبرين وما بقي منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة فامتثل الأشتر أمره . " (٦٦)

والغريب أن الإمام علي بن أبي طالب كان رافضاً بادئ الأمر مسألة التحكيم كلها ، حيث إنه كان أعلم بحيل ومكر بني أمية ، لكنهم حملوه على ذلك ، ففضل الإمام علي أن يبعث من هو كفء لهؤلاء القوم الماكرين ورشح ابن عمه عبد الله بن عباس ﷺ لما اشتهر به من مكانة عالية في الدين لدرجة أن النبي ﷺ لقبه بحبر هذه الأمة ، لكنهم راجعوه وأنكروا عليه اختياره بحجة أنه ابن عمه وأنه منه وسيتحدث بعصبية للإمام واختاروا بدلاً منه أبا موسى الأشعري .

عندما خدع من اختاروه من عمرو بن العاص ﷺ أعادوا الكرة بقولهم لا حكم إلا لله ، وصاروا يعودون على الإمام باللوم بسبب الحكمين إلى درجة أن كفروه وكفروا كل من ارتضى بحكم الحكمين .

فهذه هي الخوارج التي خرجت على الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في الآراء الغريبة والأحكام المتطرفة وعن توحد الصف .

---

(٦٦) الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ ص١١٤ .

أما الإباضية فلهم معنى خاص في تعريف الخوارج :-

وهو معنى حركة القوم وخروجهم من مكان إلى آخر بهدف التقرب إلـــى الله وإلى مرضاته وعدم الإبقاء مع من يغضبه أو يتجاوز حدوده ، وقــد وصفوا أهل الخوارج بأنهم قوم مسبحون عباد قراء زهاد في هذه الدنيا ، وقالوا ذلك نقلا عن الإمام علي بنفسه ، وهذا مـــن خـــلال مصـــادرهم ومراجعهم الإباضية ، حيث قالوا :-

" سُمي الخوارج بهذا الاسم بسبب خروجهم من الكوفة إلـــى النـــهروان وكان ذلك في أول أمرهم ، ولم يكن خروجهم في ذلك الوقت خروجاً عن الدين أو مروقاً عن الجادة أو الأمة ، بل لعل العكس هو الصحيح ، فمـــن الثابت ــ كما ذكرنا من قبل ــ أن الإمام على بن أبي طالب ﷺ لما سئل عن هؤلاء ووصفوا أمامه بالكفر والمروق قال كرم الله وجهه : بل من الكفر فروا ، ونفى عنهم النفاق ، ولما سئل أهم منـــافقون ؟ قـــال : إن المنافقين لا يذكـــرون الله إلا قليـــلاً ، وهـــؤلاء يذكـــرون الله بكـــرة وأصيلاً."[٦٧]

والإباضية تعطي للفظ الخروج معنى سامياً وهو الجهاد فـــي سبيل الله محتجين على ذلك بأدلة من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَـدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ...﴾ النساء ١٠٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَـرِهَ اللَّـهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ .﴾ التوبة ٤٦ .

(٦٧) القلهاتي ــ الكشف والبيان ج٢ ص٢٥٢.

أيضا قوله تعالى :﴿ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً ... ﴾ التوبة ٨٣ .

ويعنون بذلك أن الجماعة الأولى التي خرجت على الإمام على بن أبي طالب كانت تبغي الجهاد في سبيل الله ؛ لأنهم كانوا متيقنين أنهم على الحق ، وأن الذين خالفوهم وقعدوا ولم يخرجوا معهم كانوا على خلاف ذلك .

وقد استدلوا على ذلك بآيات قرآنية منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ...﴾ التوبة ٨٣ .

وللإباضية معنى خاص في مسمى الخروج فهم لا يقبحون الخروج السياسي الذي يكون مخالفاً للحاكم بل يجعل الخروج مذموماً إذا كان متعلقاً بمخالفة قواعد الشرع والقيام بسفك دماء المسلمين واستحلال أعراضهم وأموالهم مثل صنيع الأزارقة .

قال عمار طالبي : " للإباضية رأي في الخوارج وفي الخروج ، وذلك أن الإباضية رغم موالاتها للمحكمة الأولى ــ وعلى رأسهم عبد الله بن وهب الراسبي ــ فإنهم يتصورون الخروج على أنه مروق من الدين وردة ، ولا يرون الخروج السياسي موجباً لتسمية من قام به خارجياً ، فلا يسمون من خرج عن عثمان ولا من خرج عن معاوية خوارج وإنما كان موقفهم من هذا كله موقفاً خاصاً لأنهم تمسكوا بنص الحديث ، فالخروج من الدين إنما يكون بإنكار أصل ثابت من أصوله ، أو بالعمل بما يتنافى مع تلك الأصول المقطوع بها ؛ لأن العمل بذلك هو الردة ، والإنكار لما يجب أن يكون عليه سلوك المسلم الذي حدده القرآن .

ومن هنا فإنهم يتصورون الفرقة التي ينطبق عليها مفـــهوم الخارجيـة الوارد في الحديث وهو المروق من الدين ، وإنما هي فرقة الأزارقـــة ، ومن كان على شاكلتها ، لما يقومون به ، ويعتقدونه مــن سفك دمـاء المسلمين وأخذ أموالهم ، وسبي نسائهم وأطفالهم ، مستحلين ذلك كله .(٦٨)

ورغم اعتبار الخروج له مكانة سامية مقدسة عند الإباضية من خلال مـا استشفوه من آيات القرآن الكريم السابقة الذكر إلا أنهم استنكروا نسـبتهم للخوارج حيث إن الخوارج الذين تسموا بهذا الاسم كانت لهم صفحـات سود في تاريخ الإسلام خصوصـاً الأزراقـة والصفريـة والنجـدات ، والإباضية تنأى بنفسها عن تلك الفرق وتستنكر أفاعيلها وتفضل وصـف نفسها بأنها فرقة مسالمة هادئة الاعتقاد معتدلة الاعتقاد غير متطرفة مثـل فرق الخوارج ، **قال أحد كتابهم :-**

" إطلاق لفظ الخوارج على الإباضية ــ أهل الحق والاسـتقامة ــ مـن الدعايات الفاجرة التي نشأت عن التعصب السياسـي أولاً ، ثـم عـن المذهبي ثانياً ، لما ظهر غلاة المذاهب ، وقد خلطـوا بيـن الإباضيـة والأزارقة والصفرية والنجدية ، فالإباضية أهل الحق لم يجمعهم جـامع بالصفرية والأزارقة ومن نحا نحوهم إلا إنكار الحكومة بين علي ومعاوية وأما استحلال الدماء والأموال من أهل التوحيد والحكم بكفرهـم كفـر شكر، فقد انفرد به الأزراقة والصفرية والنجدية وبـه اسـتباحوا حمـى المسلمين ، ولما كان مخالفونا لا يتورعون ، ولا يكلفون أنفسهم مؤنـة البحث عن الحق ليقفوا عنده خلطوا بين الإباضية ــ أهل الحق الذيـن لا

(٦٨) عمار طالبي ــ آراء الخوارج الكلامية ص٣٠ — ٣١ .

يستبيحون قطرة من دم موحد بالتوحيد الذي معه ، وبين من استحلوا الدماء بالمعصية الكبيرة حتى قتلوا الأطفال تبعا لآبائهم ، مع أن الفرق كبير جداً كالفرق بين المستحل والمحرم ،فماذا بعد الحق إلا الضلال."(٦٩)

ولكن إذا كان هذا هو حال الإباضية وحقيقتهم المعتدلة التي يتحدثون بها ، فمن إذاً الذي قاتل الإمام علي في معركة النهروان ؟ ومن الذي حكم عليه وعلى شيعته بالكفر ؟ وليسو وحدهم هم الذين حكموا عليهم بالكفر بل حكموا على عثمان وطلحة والزبير وعائشة وأصحاب الجمل ومعاوية .

قال عبد القاهر البغدادي :- " إن المحكمة الأولى قالوا بتكفير علي وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وأصحاب الجمل وتكفير معاوية والحكمين وتكفير أصحاب الذنوب من هذه الأمة ." (٧٠)

بل إنهم قالوا إن هذه الأمة كفار براء من الشرك .

ومن الذي استحل دماءهم في العلن ؟

ومن الذي استحل خيل وسلاح المسلمين ؟

أليس هؤلاء الإباضية ؟ أو ليست هذه آراء ابن إباض زعيمهم ؟

ومن الذي قال بأن الإيمان هو معرفة الله سبحانه وتعالى فقط والكفر بما سوى ذلك من رسول أو جنة أو نار أو عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا يكون كافر برئ من الشرك ؟ أليست هي فرقة الحفصية التي هي من فرق الإباضية ؟

ومن الذي قال بالقدر وخالف أهل القبلة في أفعال العباد أليس هم الحارثية الذين هم من فرق الإباضية ؟

---

(٦٩) أبو إسحاق السالمي ــ تحفة الأعيان ص٦ .

(٧٠) عبد القاهر البغدادي ــ أصول الدين دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان ص٢٣٣.

ومن الذي قال إن هناك طاعات كثيرة ممن لا يريد الله تعالى بها ؟
أليس هم أحد فرق الإباضية ؟
ومن الذي قال بعدم خاتمة رسالة رسول الله ﷺ ؟ وأن هناك نبي سيأتي من العجم آخر الزمان ؟ ومن قال إن هناك شاهدين على هذه الأمة أحدهما زيد بن أنيسة ؟ أليس الذي قال هذه الآراء المتطرفة القبيحة هي فرقة اليزيدية التي هي أحد فرق الإباضية ؟
ومن الذي قال بعدم رؤية الله ؟ واستبعاد أحاديث الآحاد في المسائل العقائدية وعدم الشفاعة في مرتكب الكبيرة أليسوا هم الإباضية ؟
وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل عند التحدث عن بعض معتقدات القوم في موضعه بإذن الله تعالى خصوصاً الثلاث نقاط الأخيرة (رؤية الله وأحاديث الآحاد والشفاعة)
لكننا نجد الإباضية تبين مدى التباس الناس بالخلط بين نسبة الإباضية للخوارج أو عدمه يرجع لسببين:-
أولهما :-أن فرقة الخوارج قد اشتركت مع الإباضية في إنكارهما للتحكيم .
وثانيهما:- أن مسمى الخوارج لم يطلق إلا بعد فترة من التحكيم وخصوصا بعد ظهور الأزارقة .
قال أبو إسحاق أطفيش :-" وعلى ذلك فإن السبب الأول هو ما ذهب إليه من يتولهم الإباضية من المحكمة الأولى من إنكار التحكيم ، فإن الخوارج قد شاركوا في إنكار التحكيم ، فكان — من ثم — شبهة الجمع بين كل منكري التحكيم في صعيد واحد .

أما السبب الثاني فإن تسمية الخوارج لم تكن معهودة في أول الأمر وإنما هي انتشرت بعد انتشار أمر الأزارقة ، ولم تعرف هذه التسمية في أصحاب علي المنكرين للتحكيم والراضين به ، ولعل أول ما ظهر هذا اللفظ بعد ثبوت الأمر لمعاوية والاستقرار . » (٧١)

ولكن هنا خلط والتباس عند الإباضيين بين مسمى الإباضية والخوارج فكلاهما لم يكن مسمى بهذا الاسم حال التحكيم ، بل كانوا جماعة واحدة سموا بجماعة المسلمين أو القاعدة ، ولم نجد من أشار إلى التمييز بين إباضية وخوارج في عصر الإمام على بن أبي طالب ﷺ ، فكلهم قاتل الإمام وشيعته في النهروان وقُتل من قتل ونجا القليل منهم .

ثم إن تسمية الخوارج التي قالوا إنها لم تظهر إلا بعد الأزارقة هذا كلام مستبعد لأن فرقة جماعة المسلمين أو القاعدة أو المحكمة كانوا يتمادحون مسمى الخروج ويستنكرون القعود وكانوا يعتبرون الخروج شرف لنيل درجة الشهادة وأن الخروج جهاد يبتغى به مرضاة الله عز وجل استمدوا ذلك من خلال آيات القرآن الكريم التي سبق الإشارة إليها ، هذا ويضاف إلى أن مسمى الإباضية قد أتى متأخراً بعد ظهور عبد الله بن إباض وبعد رسوخ الدولة الأموية حيث كان مصاحبا لزعماء الأزارقة والصفرية والنجدات ، لكنهم تفرقوا بعد كتاب نافع بن الأزرق الحنفي رأس الأزارقة كما سبق الإشارة إلى ذلك من قبل ٠

والإباضية معترفة بجميع ما أحدثه ابن الأزرق من مفاسد في الاعتقاد والأحكام والتعامل مع الناس ٠

---

(٧١) أبو إسحاق إبراهيم أطفيش : الفرق بين الإباضية والخوارج ص٩.

قال القلهاتي : " الأزارقة إمامهم أبو راشد نافع بن الأزرق ، وهو أول من خالف اعتقاد أهل الاستقامة ، وشق عصا المسلمين ، وفرق جماعتهم، وانتحل الهجرة وسبي أهل القبلة ، وغنم أموالهم ، وسبي ذراريهم ، وسن تشريك أهل القبلة ــ بينما كفرهم ابن إباض وبرأهم من الشرك ــ و تبرأ من القاعد ولو كان عارفاً لأمره تابعاً لمذهبه ، واستحل أعراض الناس بالسيف ، وانتحل الهجرة وحرم مناكحتهم وذبائحهم وموارثتهم ، وابتدع اعتقادات فاسدة وآراء حائدة خالف فيها المسلمين أهل الاستقامة في الدين . " (٧٢)

وقد حرصت الإباضية على التبرأ من ابن الأزرق وأفعاله في المسلمين لكنهم كانوا متطرفي العقيدة مثله رغم تبرأتهم ممن أحلوا (ابن الأزرق) من استحلال الدماء بالقتل بدون وجه حق وسبي النساء وقتل أطفالهم .

قال البرادي :-" لقد حرص ابن إباض في رسالته إلى **عبد الملك بن مروان** أن يقرر رأيه بصراحة في ابن الأزرق ، فذكر فيها قوله : إنا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه واتباعه ، لقد كان حين خرج على مبادئ الإسلام فيما ظهرا لنا ؛ ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم ." (٧٣)

وهكذا حرصت الإباضية على أن توضح الصورة بالبراءة من اعتقادات وأحكام وأفعال ابن الأزرق ، فالرسالة السابقة من ابن إباض إلى عبد الملك بن مروان دليل يقدمه الإباضيون على ذلك ويضيفون إليه بعض

---

(٧٢) القلهاتي : الكشف والبيان ج٢ ص٤٢٢.

(٧٣) البرادي ــ الجواهر المنتقاة ص١٥٦ .

الأحداث التاريخية الدالة على تبرأ يد الإباضيين من الانغماس في دماء المسلمين مثل صنيع ابن الأزرق .

تقول الإباضية :" خافت أهل البصرة على أنفسهم وعجزوا على حرب الخوارج فاستجاروا بالمهلب بن أبي صفرة الأزدى العماني العظيم المشهور ، فخرج إلى حرب الأزارقة وانتصف منهم وقتلهم ، واستولي جميع ولايتهم ، ومن الثابت تاريخياً أن أسرة آل المهلب كانوا إباضية ، وكانوا على اتصال وثيق بالإمام جابر بن زيد الأزدي ، ولم يبذل المهلب في قتال الخوارج والقضاء عليهم ما بذل إلا لعلمه بعدم العلاقة بينهم وبين الإباضية وبالفرق الكبير بين منهج الطائفتين . "(٧٤)

وتوضح الإباضية الصورة أكثر في بيان اعتدالهم وتمسكهم بالكتاب والسنة بتطبيق الأحكام الشرعية والالتزام بها دون تطرف عن صراط الله المستقيم .

قال أبو إسحاق إبراهيم أطفيش :-

" وفي مقابل ذلك فإن الدارس لتاريخ الإباضية يتبين أنهم يبتغون العدل وينشرون العمل بالكتاب والسير على مناهج السياسة التي سار عليها الخلفاء الراشدون ، وهم يجيزون المناكحة بينهم وبين سائر الموحدين بينما الخوارج لا يجيزون ذلك كما أسلفنا لأنهم ــ أي الخوارج ــ يرون كل من سواهم مشركين . "(٧٥)

---

(٧٤) أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ــ الفرق بين الإباضية والخوارج ص٩.

(٧٥) انظر المرجع السابق ص ١٣.

فهذا قول الإباضية من تمسكهم بالكتاب والتزامهم مسلك الخلفاء الراشدين وسلف الأمة و تبرأتهم من الخوارج خصوصاً الأزارقة ، بينما نجد في كتب التراث تخبط الإباضية في معتقدات إسلامية واضحة خالفوا فيها السلف الصالح وأهل السنة وبين ما تقوله الإباضية وبين ما كتب عنهم من عكس ما يدعون يقع الباحث في الحيرة ، والأفضل في رأيي أن الحكم على الإباضية لكي يكون عادلاً منصفاً يجب التعرض إلى بعض معتقداتهم حتى يمكننا الوصول إلى حكم حيادي عادل .

وهذا ما سأتعرض إليه في الصفحات الآتية بإذن الله من وقفة حيادية أمام بعض معتقدات الإباضية خصوصاً رأيهم في عدم أخذهم بأحاديث الآحاد ، ثم إنكارهم رؤية الله ، ثم إنكار الشفاعة لمرتكب الكبيرة .

بعض المعتقدات الإباضية.

ارتضت الإباضية لنفسها بأن تنحو في القضايا الشرعية الإسلامية مسلكاً يقولون عنه إنه مرتبط بما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، لكنهم في كثير من القضايا يسلكون مسلك القدرية الثانية (المعتزلة) في تأويل النصوص التي توافق عقولهم ، ويزعمون أن ذلك هو الحق وأنهم بحثوا عنه وأخذوه ولو كان من أبغض بغيض ، وأنهم رفضوا ما دونه وردوه ولو كان من أقرب قريب .

قال أحد علمائهم : " نحن معاشر الإباضية ٠٠ لا نوجب تقليد غير المعصوم ، ولا نمنع من المجاهدة فيه ، ولا من الاستماع إلى غيره ، بل نأخذ الحق حيث وجدناه ، ونرد الباطل على من جاء به كما قال ﷺ:

" اقبل الحق على من جاء به من صغير أو كبير وإن كان بغيضاً بعيداً ورد الباطل على من جاء به من صغير أو كبير وإن كان قريبا . [٧٦]

وهكذا تدعي كل فرقة من الفرق الإسلامية أنها نحت طريق الصواب في استقصائها لقضايا ومسائل الشرع سواء في الاعتقادات أو في الفروع ، لكننا نجد بعد اطلاعنا على مصادرهم أنهم خالفوا نهج السلف الصالح في فهمهم لهذا الدين ومسائله بأن أعملوا العقل فيما ليس له مجال تعقل على الإطلاق ؛ لأنه لا اجتهاد مع نص وهذه من أبسط القواعد السلفية التي نهجوها هم وأهل السنة الذين صاروا على دربهم ، وبإذن الله سنجد في العرض الآتي أن الإباضية قد أعملت العقل فيما لا ينبغي ، وردت ركناً هاماً في الاستدلال على مسائل الشرع ، وهو الاستدلال بأحاديث الآحاد وهذا ما سيتضح بإذن الله في العرض الآتي :-

[٧٦] الشيخ علي بن محمد المنذري ــ رسالة الصراط المستقيم طبعة عمان ص٦ .

أولاً :- رفض الإباضية الاستدلال بأحاديث الآحاد .

من خلال دراستنا الماضية لمادة الحديث ومصطلحه علمت أن من أهم مصادر التشريع الإسلامي السنة المطهرة ، فهي المصدر الثاني للتشريعات وهي المفصلة لما أجمل من آيات القرآن الكريم ، وهي كل ما نقل عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو إقرار ، والذين نقلوا السنة المطهرة عن النبي ﷺ هم الصحابة رضوان الله عليهم ، أو بمعنى أدق معظم الصحابة وأغلبهم قد رووا عن النبي ﷺ وليس كلهم بل البعض منهم قد قام بهذه المهمة حال وجوده مع النبي ﷺ بأن سمعه أو رآه قال كذا أو فعل كذا ، فالصحابة كلهم لم يكن متيسر لهم الوجود مع النبي ﷺ ليقوموا بهذه المهمة بل البعض قام بذلك ، إما رجال أو نساء على السواء فمن الممكن أن يكون هناك رواة كثيرون سمعوا ورأوا النبي ﷺ قال كذا أو فعل كذا ، ومن الممكن أن يكون السامع أو الرائي للنبي ﷺ واحداً فقط بمفردة ، ومن الممكن أن يكونا اثنين أو ثلاث أو أكثر من ذلك ، وقد سمى علماء الحديث ومصطلحه تلك الأحاديث المروية عن النبي ﷺ بمسميات معينة معروفة ومحددة بنوها واصطلحوا عليها بناء على عدد رواة الحديث ، فقد اصطلحوا على أن الذي انفرد برواية عن النبي ﷺ بأن هذا الحديث يسمى (غريباً) وقد اصطلحوا على الذي انفرد بالاثنين من الرواة بأنه حديث (عزيز) وأيضاً الذي رواه ثلاثة أو أكثر يكون اسم الحديث(مشهور) أما إذا كان الرواة أكثر من ذلك بأن يكون الرواة اكثر من عشرة أو أربعين فحسب اختلاف العلماء في تحديد ذلك قد سموه حديثا متواتراً ٠

وقد أصطلح علماء الحديث و مصطلحه على أن الحديث الغريب والعزيز والمشهور تسمى أحاديث الآحاد .

خبر الآحاد هو ما ليس بمتواتر .

* ما يفيده : يفيد الظن .

* تقسيم خبر الآحاد : ينقسم خبر الآحاد إلى المشهور والعزيز والغريب(٧٧)

قال ابن الصلاح آخذا من كلام ابن منده وشيخ الإسلام وغيره :-

" إنهم خصوا الثلاثة فما فوقها بالمشهور ، والاثنين بالعزيز ، لعزته أي قوته بمجيئه من طريق آخر ، أو لقلة وجوده ، قال شيخ الإسلام : وقد أدعى ابن حبان أن رواية اثنين عن اثنين لا توجد أصلاً ، فإن أراد راوية اثنين فقط فيسلم ، وأما صورة العزيز التي جوزها فموجودة ، بلن لا يرويه أقل من اثنين عن أقل من اثنين ، ويدخل في الغريب ما انفردوا بروايته ، فلم يروه غيره أو بزيادة في متنه أو إسناد لم يذكرها غيره.(٧٨)

ومعنى ذلك أن راوي الحديث الذي انفرد به أو الراويان اللذان انفردا به أو الرواة اللذين انفردوا بتلك الرواية ولم يصلوا بها إلى درجة المتواتر فهؤلاء جميعاً صحابة ثقاة عدول ، شهدت لهم بذلك سيرتهم الذاتية ومناقبهم في خدمة هذا الدين ، والذي يتجرأ بأن يكذبهم ويرد حديثهم يكون قد أعظم عليهم الفرية لأن تكذيب الصحابي فيه تكذيب للنبي ﷺ وتكذيب الصحابي والنبي ﷺ تكذيب لله ﷻ فحاشانا أن نفعل ذلك ونضاهي اللذين ردوا أحاديث الآحاد ، فهؤلاء في رأيي مقياسهم كمي لا كيفي ، فإذا كان الحديث مروياً عن كثيرين أخذوه وإن كان راوي

(٧٧) منشاوي عثمان عبود ـ المهذب في مصطلح الحديث ـ طبعة الجهاز المركزي للكتب الجامعية ص١٩.

(٧٨) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي) ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ـ طبعة دار الكتب الحديثة ج٢ص١٨١.

الحديث واحداً أو اثنين أو ثلاث ردوه بصرف النظر عما جاء في متن الحديث ونحن نؤمن بأن كل ما يقوله النبي ﷺ ورواه العدل الثقة فهو صدق وحق مهما كان هذا المنقول مخالفاً للعقل .

أما اللذين رفضوا ذلك ـ أي أحاديث الآحاد ـ فهؤلاء قاسوا تلك الأحاديث بعقولهم فماساير عقولهم قبلوه ، وما خالف عقولهم ردوه بحجة أن تكذيب الصحابي الذي روى الحديث أهون من اصطدام العقل بما روى ، ونحن نقول لهم : إن العقل آلة محدودة مثله مثل الحواس ، فالعين الإبصار بها محدود والأذن كذلك والشم والذوق أيضاً ، فلم نعترف بحدودية وقصور تلك الحواس دون العقل ؟ ولم نصل إلى درجة تكذيب الصحابي العدل الثقة ويكون مقياسنا لأحاديث النبي ﷺ كمي ؟ فالأفضل مقياس الكيفي بصدق الحديث المنقول عن النبي ﷺ أو كذبه وهذا يكون راجعاً لعلم الجرح والتعديل الذي يختص برواة الحديث .

ويرجع بنا المقام إلى موقف الإباضية من أحاديث الآحاد خصوصاً في الجانب العقدي ، وقد وقع تحت يدي كتاب بعنوان " **السيف الحاد على من أخذ بحديث الآحاد في مسائل الاعتقاد** " لكاتب إباضي يدعى **الشيخ سعيد بن مبروك القنوتي** ، كتب في مقدمة الكتاب رأيين مختلفين فيمن أخذ أو رد أحاديث الآحاد حيث قال :-

فقد اختلف الناس في جواز الاحتجاج بالأحاديث الأحادية في المسائل الاعتقادية ، على عدة مذاهب أشهرها المذهبان الآتيان :-

المذهب الأول :-

أن الأحاديث الأحادية لا يجوز الاحتجاج بها في المسائل الاعتقاديه ؛ وذلك لعدم القطع بثبوتها كما سيأتي تحقيقه بإذن الله تعالى .

وهذا هو مذهب جمهور الأمة كما حكاه النووي في مقدمة شرح مسلم وفي التقريب ، وإمام الحرمين في البرهان ، والسعد في التلويح ، والغزالي في المستصفى ، وابن السبكي في جمع الجوامع ، والمهدي في شرح المعيار ، والصنعاني في إجابة السائل ، وابن عبد الشكور في مسلم الثبوت ، والشنقيطي في مراقي الصعود ، والشوكاني في إرشاد الفحول ، وصديق خان في حصول المأمول ، وآخرون سيأتي ذكر بعضهم بإذن الله تعالى .

وممن قال بهذا القول أصحابنا قاطبة ، والمعتزلة ، والزيدية ، وجمهور الحنفية ، والشافعية ، وجماعة من الظاهرية ، وهو مذهب مالك على الصحيح كما سيأتي وعليه جمهور أصحابه ، وبه قال كثير من الحنابلة وهو المشهور عن الإمام أحمد كما سيأتي ، وإليه ذهب ابن تيميه في منهاج السنة حيث قال :" إن هذا من أخبار الآحاد فكيف يثبت به أصل الدين الذي لا يصح الإيمان إلا به "

وكذلك نص على ذلك في تعليقاته على مراتب الإجماع .

المذهب الثاني :-

أن أخبار الآحاد يحتج بها في المسائل الاعتقادية وأنها تفيد القطع وهو مذهب طائفة من الظاهرية منهم ابن حزم ، وبه قال طائفة من أهل الحديث وبعض الحنابلة واختاره ابن خويزمنداد من المالكية وزعم أنه الظاهر من مذهب مالك ونسبه بعضهم إلى الإمام أحمد بن حنبل . "[٧٩]

(٧٩) سعيد بن مبروك القنوتي / السيف الحاد على من أخذ بحديث الآحاد في مسائل الاعتقاد ـ مكتبة الضامري للنشر والتوزيع عمان سنة ١٩٩٤ص٢ .

فهذان رأيان متباينان قدم بهما الشيخ القنوتي كتابه وقد اختار أحدهما وهو الرأي الأول من عدم حجية أحاديث الآحاد خصوصاً في المسائل العقائدية ، وقد نسى هذا الشيخ الإباضي أن خبر الواحد أمر واقع ومسلم به ، حيث إننا أخذنا هذا الدين من الله ﷻ بواسطة الملك جبريل ﵇ وقد نقل هذا الدين فرد واحد وهو المعصوم ﷺ فلم نستبعد خبر الواحد عن النبي ﷺ ؟ خصوصا أن هناك علم يسمى (الجرح والتعديل) قد محص لرجال الرواة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وقد تلقت الأمة تلك الأحاديث الآحاد بالموافقة والرضا وأجمعوا على صحتها ، وورد ذلك في كتب الصحاح خصوصاً في كتابي البخاري ومسلم ، ثم إن الراوي الفرد أو الراويان أو الثلاثة لم يكن لنرد أحاديثهم لمجرد أنهم كذلك ونتجاهل عدل الراوي وحفظة ومكانته في الإسلام ، هذا بالنسبة للرجال فما بالنا من رواية النساء خصوصاً راويات السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ وقد روت الكثير من أحاديث النبي ﷺ وأيضا حثنا النبي ﷺ بأن نأخذ نصف ديننا عنها حيث قال ﷺ :

" خذوا شطر دينكم عن الحميراء " وإن كان هذا الحديث موضوع (٨٠) إلا أن السيدة عائشة لها مناقب في أخذ العلم عنها ورواية الأحاديث وهي امرأة بمفردها .

(٨٠) ورد هذا الحديث بلفظين أحدهما (خذوا شطر دينكم عن الحميراء) والآخر (خذوا ثلث دينكم عن هذه الحميراء أو خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة) وقد ذكر اللفظ الأول (خذوا شطر دينكم) ابن كثير / البداية والنهاية دار الفكر العربي ببيروت ج٨ ص٩٢ وج٣ ص١٢٩ وانظر في السخاوي / المقاصد الحسنة درا الكتاب العربي سنة ١٩٨٥ص٣٢١رقم ٤٣٢وأنظر الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني ــ كشف الخفا ومزيل الإلباس طبعة دار زاهد القدسي بمصر ج١ ص٣٧٤ رقم ١١٩٨ ، وانظر السيوطي الدرر المنتثرة طبعة دار الاعتصام بمصر ص ٢١٥ رقم ٢٠٩ وانظر الشوكاني الفوائد المجموعة طبعة السنة المحمدية بمصر ص٣٩٩ رقم ١٣٩ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠.

لقد كانت من كبار المحدثين وحفاظ السنة ، وقد امتازت عن غيرها من الصحابة أنها سمعت تلك الأحاديث مشافهة عن النبي ﷺ لذلك انفردت برواية أحاديث لم يروها عنه ﷺ غيرها لمكانتها عنده ﷺ . (٨١)

ولذلك يرجع الفضل إليها في نقل السنة النبوية ونشرها بين الناس والتي لو لم تنقلها لضاع قسم كبير منها ، خاصة الأمور التي تتعلق بتصرفات النبي ﷺ في بيته ومع أهله ، وكان حفظها لحديث رسول الله ﷺ وإتقانه مرجعاً للصحابة فيما اختلفوا فيها من الأحاديث من سماعها من فم النبي ﷺ فيجدون عندها الجواب الشافي الذي يحسم الخلاف ويرد الشك ، فهذا أبو هريرة يحدث بحديث سمعه ابن عمر فينكره عليه فيذهب به إلى عائشة ، قال البخاري ـ بسنده ـ عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" **من تبع جنازة فله قيراط من الأجر .** " (٨٢)

وكان أبو هريرة من عادته الجلوس إلى حجرة عائشة يسمعها ما يحدث به الناس ثم يقول : يا صاحبة الحجرة أتنكرين مما أقول شيئاً ؟ (٨٣)

=== أما لفظ (ثلث دينكم) فانظر على محمد القاري الهروي / الأسرار المرفوعة تحقيق محمد لطفي الصباغ طبعة المكتب الإسلامي بيروت وص١٨٥ وانظر محمد بن على بن طولون / الشذرة تحقيق جمال زغلول دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى ١٤١٣ هجرية ج١ ص٣٨٢ وذكر ابن القيم في المنار المنيف ص٣٥ : كل حديث ذكر فيه الحميراء فهو كذب مختلق . قال مؤلف الزفاف : ومنه تعلم أن قول ابن القيم في المنار : وذكره ليس صواب على إطلاقه ، ثم رأيت الزركشي قال في المعتبر (١٩-٢٠) : وذكر شيخنا ابن كثير عن شيخه ابن الحجاج المزي أنه كان يقول : كل حديث فيه الحميراء باطل إلا في الصوم في سنن النسائي ، قلت وحديث آخر في النسائي : دخل المسجد والأحباش يلعبون فقال لي : (يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم ، وإسناده صحيح) .

(٨١) بدر الدين الزركشي ـ الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة طبعة المكتب الإسلامي ط٤ ص٣٣ سنة ١٩٨٥.

(٨٢) صحيح البخاري / كتاب الجنائز باب فضل اتباع الجنائز ج١ ص ٤٠٧ رقم ١٣٢٤.

(٨٣) صحيح مسلم / من فضائل أبي هريرة ص١٩٤ ج٤ رقم ٢٤٩٣.

ولولا كثير من الأحاديث التي رويت عن أمهات المؤمنين لفاتنا الكثير من السنن القيمة التي ما نقلها راو أو راوية غيرهن ، فهذه الميزة وحدها كفيلة بأن تجعل منهن أعمدة رواية أفعال النبي ﷺ المعيشية وقد تحقق ذلك خاصة في أم المؤمنين عائشة سيدة المحدثات في هذه الأمة.(٨٤)

وقد حرص علماء الأمة الإسلامية في كتبهم من ذكر روايات النساء بمفردها أو بجمعها بشرط عدالتها هي أو الصبي .

قال السيوطي : يقبل تعديل العبد والمرأة العارفين ، ومن عرفت عينه وعدالته وجهل اسمه احتج به فرع في مسائل زادها المصنف على ابن الصلاح (يقبل تعديل العبد والمرأة العارفين) لقبول خبرهما ، وبذلك جزم الخطيب في الكفاية والرازي والقاضي أبو بكر بعد أن حكى عن أكثر الفقهاء من أهل المدينة وغيرهم أنه لا يقبل في التعديل النساء لا في الرواية ولا في الشهادة ، واستدل الخطيب على القبول بسؤال النبي ﷺ عن عائشة في قصة الإفك ، قال بخلاف الصبي المراهق فلا يقبل تعديله إجماعاً (ومن جمعت عينه وعدالته وجهل اسمه) ونسبه (احتج به) وفى الصحيحين من ذلك كثير .(٨٥)

فالله سبحانه يهب الحفظ والفطانة ورجاحة العقل لمن يشاء من عباده رجال كانوا أو نساء حيث قال النبي ﷺ: (**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**.(٨٦)

---

(٨٤) أمال قرادش بنت الحسين ـ دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى ـ كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ قطر العدد ٧٠ ـ ربيع الأول ١٤٢٠ هجرية ـ السنة التاسعة عشرة .

(٨٥) السيوطي ـ تدريب الراوي ج١ص ٣٢١ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ط ثانية ١٩٧٩.

(٨٦) صحيح البخاري كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا ج١ ص٢٤.

وعلى فرض أن الصحابي لم يفقهه قول النبي ﷺ فمن الممكن أن يكون المبلغ الذي وصله حديث النبي من الصحابي أفقه وأوعى لحديث النبي ﷺ حيث قال " **ليبلغ الشاهدُ الغائبَ بأن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه** " (٨٧)

فرب مبلغ أوعى من سامع ، فهذه هي مكانة خبر الواحد وحجيتها في السنة المطهرة ، لكننا إذا رددنا أحاديث الآحاد فإننا بذلك نرد معظم السنة المطهرة للغاية ، والأحاديث المتواترة بجوارها قليلة جداً ويرجع ذلك إلى شروط علماء الحديث ومصطلحة فيما ينبغي أن يتوافر للحديث المتواتر ، وقد ارتضت الإباضية السنة المتواترة فقط دون غيرها من أحاديث الآحاد ولهم أدلة قدموها على ذلك .

أدلة الإباضية على عدم حجية أحاديث الآحاد .

ذكرنا أن الشيخ سعيد القنوبي قد عبر عن مذهب الإباضية في عدم حجية أحاديث الآحاد أن ارتضى الرأي الأول المعبر عن ذلك ، وقال إنه هو الرأي الصحيح وقد قدم بعض الأدلة التي تؤيد اختياره ، حيث قال :- " والمذهب الأول هو المذهب الحق الذي لا يجوز القول بخلافه ، والأدلة عليه كثيرة جداً :-

أولاً :- أنه لو أفاد خبر الواحد العلم لوجب تصديق كل خبر نسمعه ، لكنا لا نصدق كل خبر نسمعه ، وهذا ظاهر لا يحتاج إلى بيان •

ثانياً :- أن الناس قد قسموا الأخبار إلى خمسة أقسام :

١- قسم مقطوع بصدقه .

٢- قسم مقطوع بكذبه .

---

(٨٧) المرجع السابق ج١ ص٢٣.

٣- قسم يحتمل الصدق والكذب واحتمال الكذب أرجح .

٤- قسم يحتمل الصدق والكذب واحتمال الصدق أرجح .

٥- قسم يحتمل الصدق والكذب على السواء .

وجعلوا من القسم الرابع خبر الواحد العدل أو الخبر الذي لم يتواتر ؛ وذلك لاحتمال الذهول والسهو والغفلة والخطأ والنسيان ، إلى غير ذلك من الاحتمالات .

فإذا تبين ذلك ، فالقطع بالصدق مع ذلك محال ، ثم هذا في العدل في علم الله تعالى ، ونحن لا نقطع بعدالة واحد بل يجوز أن يضمر خلاف ما يظهر ، ولا يستثن من ذلك إلا من استثنى بقاطع كأنبياء الله ورسله عليهم السلام .

ثالثاً :- أن الناس قد اتفقوا على أن التصحيح والتحسين والتضعيف .. إلخ أمور ظنية وأنه لا يمكن القطع بشيء من ذلك لاحتمال أن يكون الواقع بخلاف ذلك ، وإذا كان الحكم بتصحيح حديث ما ، أمراً مظنوناً به، وأنه يحتمل أن يكون بخلاف ذلك فلا يجوز القطع بدلالة ما دل عليه، وهذا أمر ظاهر بين .

رابعاً :- أننا نرى العلماء كثيراً ما يحكمون على بعض الأحاديث بالصحة لتوفر شرط الصحة فيها عندهم ، ثم يجدون بعض العلل التي تقدح في صحة ذلك الحديث فيحكمون عليه بما تقتضيه تلك العلة القادحة وقد يضعفون بعض الأحاديث لعدم توفر شرط الصحة فيها ، ثم يجدون ما يقويها .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الآحاد لا يفيد القطع ، وإلا لوجب على الإنسان أن يقطع اليوم بكذا ويقطع غداً بضده .

خامساً :- أنه لو أفاد خبر الواحد العلم ، لما تعارض خبران ؛ لأن العلمين يتعارضان كما لا تتعارض أخبار التواتر ، لكنا رأينا التعارض كثيراً في إخبار الآحاد وذلك يدل على أنها لا تفيد القطع .

سادساً :- أنه لو أفاد خبر الواحد العلم ، لاستوى العدل والفاسق في الأخبار لاستوائهما في حصول العلم بخبرهما ، كما استوي خبر التواتر في كون عدد المخبرين به عدولاً أو فساقاً ، مسلمين او كفاراً ؛ إذا لا مطلوب بعد حصول العلم ، وإذا حصل بخبر الفاسق لم يكن بينه وبين العدل فرق من جهة الإخبار ، لكن الفاسق والعدل لا يستويان بالإجماع والضرورة ؛ وما ذلك إلا لأن المستفاد من خبر الواحد إنما هو الظن ، وهو حاصل من خبر الواحد العدل دون الفاسق .

سابعاً :- أنه لو أفاد خبر الواحد العلم ، لجاز الحكم بشاهد واحد ولم يحتج معه إلى شاهد ثان ، ولا يمين عن عدمه ، على مذهب من أجاز الحكم بشهادة الواحد مع اليمين ، ولا إلى زيادة على الواحد في الشهادة بالزنى واللواط ؛ لأن العلم بشهادة الواحد حاصل وليس بعد حصول العلم مطلوب .

ثامناً :- روى البخاري أن ذا اليدين قال لرسول الله ﷺ لما صلى الظهر أو العصر ركعتين : **يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة ؟** فقال له : (**لم أنس ولم تقصر**) ثم قال للناس : (**أكما يقول ذو اليدين**) فقالوا : نعم فتقدم فصلى ما ترك ، ثم سجد سجدتين ٠

فهذا يدل دلالة على أن أخبار الآحاد لا تفيد القطع وإلا اكتفى ﷺ بخبر ذي اليدين ولم يحتج إلى سؤال غيره ، إذ ليس بعد القطع مطلوب . (٨٨)

(٨٨) الشيخ سعيد القنوبي / السيف الحاد / ص٧و٨.

ولكي نقتنع بما قدمه الشيخ القنوتي من أدلة على عدم حجية أحاديث الآحاد يجب التوقف أمام تلك الأدلة ومحاولة تمحيصها حتى يتبين مدى صحة أدلته أو بطلانها فمثلاً :-

الدليل الأول :- أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحجة أننا لو صدقناه لصدقنا كل خبر نسمعه ، ونقول هناك فرق بين كل قائل وراوي من تعديله أو تفسيقه أو تصديقه أو تكذيبه ، وكما ذكرنا مسبقاً أن ديننا كله قد علمناه بخبر الواحد وهو قول النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام وقول جبريل وهو واحد عن ربه ﷻ ، فهناك علم يُسمى الجرح والتعديل يمحص أصحاب أي قول نسمعه .

الدليل الثاني :- بالنسبة للقسم الرابع الذي يحتمل الصدق والكذب والصدق أرجح ، فهذا أمر مقطوع به لأنبياء الله ولغيرهم ممن شهد لهم بالصدق والعدل وعدم الغفلة والنسيان وهناك أمثلة عديدة على ذلك نذكر منها تصديق النبي ﷺ لخبر الواحد الذي رأى الهلال فبنى ﷺ على خبره تأدية فريضة الصيام له ولجميع المسلمين .

الدليل الثالث :_ أن الناس لم يثبت أنهم جعلوا التصحيح والتحسين والتضعيف أمور ظنية بل أمور قطعية عند أهل الاختصاص وهم علماء مصطلح الحديث الذين محصوا أحاديث النبي ﷺ وجعلوا منها مراتب بحسب رواة الحديث والمتن الذي ذكروه ، وهذا خاضع لعلم الجرح والتعديل فكيف نقول بعد هذا كله أن الصحيح أو الحسن أو الضعيف أمور ظنية ؟

الدليل الرابع :- أن علماء مصطلح الحديث الذين محصوا أحاديث النبي ﷺ قد وضعوا شروط وضوابط لجميع الأحاديث فإذا توافرت تلك

الشروط في أحاديث ما وحكم عليها بالصحة ثم ظهرت بعد ذلك أي علة تقدح في متن الحديث فلا ينبغي ردها مهما كان حتى ولو كان العقل لا يدرك تلك الأحاديث ؛ لأن العقل ـ كما ذكرنا مسبقاً ـ محدود وقاصر ، وهذا الدين لا يقاس بالعقل ، ولو كان يقاس بالعقل لكان المسح على أسفل الخفين أولى من ظاهره كما قال الإمام على كرم وجهه .

الدليل الخامس :- أن خبر الواحد منقول عن قول النبي ﷺ عن الله ﷻ فكيف يكون هناك خبران متعارضان منقول عن المعصوم أو رب العزة؟ فالراوي من الصحابة لا يأتي بأقوال من عنده .

أما التعارض الذي يفتعله المفتعلون فهذا مختلق وحتى لو كان هنا كل تعارض ظاهري فيكون تفاوت لوجهات نظر عالجت وخاطبت حالات خاصة كل حسب حالته ومشكلته فالنبي ﷺ مبعوث للجميع بمختلف أحوالهم ومشاكلهم .

الدليل السادس:- كيف يكون هناك تساوي بين رواية العدل ورواية الفاسق ؟

وكما ذكرنا ونكرر أن علم الجرح والتعديل يمحص الرجال ويبين هذا من ذاك ، أما رواية المتواتر فما المانع أن يكون هناك جماعة فساق قد كذبوا على النبي ﷺ وأتوا علينا بأحاديث كاذبة موضوعه تطعن في هذا الدين فهل يكون جمعهم شافعاً لما يقولون من كذب ونقول أنها أحاديث متواترة هيهات .

الدليل السابع :- أن من يقول أن خبر الواحد يرد بحجة أن الشهادة لا تصح إلا بشاهدين ، ونقول أن الشهادة تجوز بواحد في حالات وخصوصاً بامرأة في حالة كشف البكارة أو الرضاعة أو ما شابه ذلك .

كما أن هناك حالات لا ينفع فيها شهادة الشاهدان من الرجال العدول مثل حالات الزنى واللواط ، إذن فالشهادة ليست مقياساً لرد أحاديث الآحاد ٠

الدليل الثامن :- أن حديث ذي اليدين ليس حجة على خبر الآحاد في رده لأن سؤال النبي ﷺ للصحابة من الذين صلوا معه بعد سؤال ذو اليدين راجعاً لسهو النبي في الصلاة حتى يبين الله بشرية النبي ﷺ فليس شكاً في خبر ذي اليدين ولكن مجرد تأكد لما أخبر به ؛ ولأن ذا اليدين لم يكن هو وحده موجوداً ومتواجداً خلف النبي ﷺ بل كان معه غيره فلا يقاس على هذه القصة رد خبر الواحد ولكن يقاس عند وجود صاحبي بمفرده دون غيره في رد خبر الواحد ٠

مما سبق من أدلة الإباضية على عدم قبول خبر الواحد ورد أحاديث الآحاد وذكرنا الرد على جميع تلك الأدلة والتي أظن أنها لا ترقى إلى درجة أدلة قطعية إطلاقاً ، ولكي يكون هناك موازنة بين زعمهم واعتقادنا يجب تقديم أدلة على ما اعتقدناه وسنلقى الله عليه بإذن الله على قطعية الاحتجاج بأحاديث الآحاد في الأصول والفروع ٠

قال ﷻ : ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ .** ﴾ التوبة ١٢٢ .

دلالة الآية تشير أنه ليس في طاقات المؤمنين وقدرتهم النفرة ومقاتلة العدو بأجمعهم وبجميع عددهم ، كما دلت كلمة كافة ، وأيضاً التفقه في الدين وهذا راجع لتفاوت قدرات المؤمنين فلا يخرجوا كلهم إلى الجهاد ولا يقعدوا كلهم للتفقه في الدين بل يخرج منهم نفر ويبقى منهم نفر ، وهكذا تسير الحياة ، فإذا لوحظت هذه التكاليف المارة علم منها أن كل

واحد من التكاليف قد يقوم به طائفة ، وأقل الطائفة واحد ، ومنها تبليغ الدين فإذا أخبر به المتفقه فيه لزم من علمه عنه وتصديقه ، وقامت الحجة بذلك عليه ، وبهذا استدل على أن خبر الواحد المتفقه العدل ، برهان عند الله لأن الطائفة النافرة قد يكون واحداً فأكثر ، كما يكلف الواحد بتبليغ ما تفقه فيه من الدين والإيمان أصوله وفروعه ؛ ولذا كانت الوفود تقدم على النبي ﷺ الواحد والجماعة ، لتتعلم الإسلام وأحكامه ، فكان يعلمهم ويأمرهم بتبليغ ما حفظوه منه إلى من لم يحضر منهم عنده ، وكذلك كتبه ﷺ إلى الملوك كان يبعث بها الواحد والاثنين ، وفيها يدعوهم إلى الله ، ولم يقل أحد منهم قط إن حديثكم عن النبي خبر آحاد يجوز الخطأ منكم والنسيان فيه ، ولا نقبله حتى نستوثق منه ويأتنا السرد متواتراً لا يحتمل ما يجوز فيه من الكذب والوهم من ناقليه .

ومن الآيات الدالة على صحة خبر الآحاد في التشريع العام قول الله تعالى ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ .. ﴾ الأحزاب٣٤ . والمقصود من ذكر الحكمة ، ما زاد على لفظ آي القرآن بلا شك ، لعطفها عليها لهذا أمر نساء النبي ﷺ أن يبلغن ما تلاه عليهم ، وعلمنه من سنته وهي غير القرآن ، ما من شأنه أن يخفى على غيرهن غالباً ، كتحريم الصلاة والصوم على الحائض ، وقضاء الصوم دون الصلاة ، وجواز المباشرة دون الجماع ، وهذا تشريع عام هن حدثن به في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ، كما استفاض ذلك عنهم وما أمرهن بذلك إلا وقد أوجب على الأمة قبوله وقبول غيره من الواحدة منهن ، فالآية ترد على من لا يقبل في العقائد والتشريع العام إلا ما نقل بالتواتر ، ومن اليقين عندهم وعند كل من عرف تحديدهم التواتر ، أنهن لا يبلغن التواتر

مجتمعات ، فقد بان لك فساد قول هؤلاء وجهلهم وتنطعهم البارد في الدين، وفى الآيتين كفاية لمن نصح نفسه وفيهما دلالة قطعية على أن الإسلام ورسوله ﷺ وصحابته ، لم يفرقوا بين العقائد والفروع ألبته وأنهم يقبلون الأخبار من أهل الأمانة والصدق والعدالة في جميع ما يتقربون به إلي ربهم ، سواء منها الآحاد والتواتر وكتابهم وسيرتهم تشهد لما قلنا عنهم .

وقد عقد البخاري باباً في أخبار الآحاد وقبولها ، ذكر فيها ما يقرب من عشرين حديثاً عن النبي ﷺ كلها تدل على صحة ما نقلناه عنهم ، كما درج على هذا أهل الحديث والسنة والسلف الصالح ، وكتبهم طافحة بالاحتجاج بجميع الأحاديث الصحيحة في الأصول والفروع ، وما يضيفونه إلى الله ورسوله في الأمور الغيبية وفى صفة ربهم وما أخبر به نبيهم من أحوال القيامة ، وإن لم ينص عليه في القرآن فإنهم قد علموا بدخوله تحت قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ .. ﴾ فمن لم يقبل خبر الآحاد بعد أن انزاح ما يوجب رده ، أو توقف فيه لوسواس نفسي وتجويز الأوهام العقلية على نفسه ، فهو في توقف من جميع الآيات التي لتفسيرها معنيان فأكثر، فلا شك ممن قال الله فيهم :
﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ. ﴾ الشورى١٤.
ولو صدقونا هؤلاء لأخبرونا بما تنطوي عليه أنفسهم بذلك قطعاً ، ولكن أكثرهم يكتمون ذلك وهم يعلمون ، يعرف هذا عنهم من خالطهم وخبرهم.(٨٩)

(٨٩) عبد العزيز بن راشد ــ رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد وتحديد التواتر عند أهل الكلام ــ طبعة المكتب الإسلامي ص٤٣ إلى ٤٦.

وكأنه يقصد الإباضية الذين ردوا خبر الواحد وكفروا بأحاديث الآحاد وهذا يرجع إلى قياسهم العقلي لمتون تلك الأحاديث الأحادية وقد شابهوا قدرية هذه الأمة منْ أخذهم بالحسن والقبح العقلين لكن هذا لا ينفع مع قول المعصوم ﷺ بأن نقبل ما يقبله العقل ويسايره ونرد ما يقبحه العقل وينفره ؛ لأن هناك كثيراً من العلماء الأكفاء الذين ارتضوا وحثوا الناس على قبول خبر الآحاد ، حيث إن ذلك يحب أن يكون عقيدة يسأل عنها يوم القيامة ومن أمثلة ذلك ما يلي :

١- ما يتعلق بالذات الإلهية يجب أخذه دون تأويل لأن العقل يجب منعه والعمل فيه مع وجود نص سواء أحاد أو متواتر فلا اجتهاد مع نص ، وهذا الدين لا يعمل فيه بالعقل خصوصاً مع ذات الله وصفاته وما يتعلق بهما لكننا نبدأ بعالم جليل مثل الزبيدي ، ولكنه للأسف يتعامل مع النصوص القطعية سواء متعلقة بالذات الإلهية أو غيرها بأن يخطأ راويها بسهوه أو افترائه أو أنه يتعامل مع الخبر المتواتر بالتأويل الذي يساير عقلة المريض .

قال الإمام الزبيدي : كل لفظ يرد في الشرع مما يستند إلى الذات المقدسة بأن يطلق اسماً أو صفة لها ، وهو مخالف العقل ، ويسمى المتشابه ، لا يخلو إما أن يتواتر أو ينقل آحاداً ، والآحاد إن كان نصاً لا يحتمل التأويل قطعنا بافتراء ناقله أو سهوه أو غلطه ، وإن كان ظاهراً فظاهره غير مراد وإن كان متواتراً فلا يتصور أن يكون نصاً لا يحتمل التأويل ، بل لابد أن يكون ظاهراً "(٩٠)

(٩٠) إحياء علوم الدين ج٢ ص١٠٥

٢- يجب العمل بخبر الآحاد سواء في العبادات أو المعاملات أو العقائد ، فرغم أن دلالة خبر الواحد ظنية إلا أنها تفيد القطع واليقين إذا أتت من طرق صحيحة وسلسلة الرجال الرواة قد ثبت عدلهم وعدم تجريحهم .

قال ابن القيم : " الخبر المتواتر يفيد العلم القطعي ، وخبر الواحد الصحيح يفيد الظن الغالب إلا إذا تلقاه المسلمون وأهل الحديث بالقبول ، فإنه يفيد العلم اليقيني بجزم بأنه صدق ، ويجب العمل به كالمتواتر سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات . "(٩١)

٣- يجب عدم رد المتن الوارد بأخبار الآحاد بحجة أن العقل لا يدركه ، وقلنا إن العقل آلة وجارحة مثل باقي الجوارح والجوارح لها حدود .

قال الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادي : " وأخبار الآحاد متى صح إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل ، كانت موجبة للعمل بها."(٩٢)

٤- أن خبر الآحاد يفيد اليقين بقرينة والقرينة تتفاوت عند من يقبلها من شخص لآخر فقرينة خبر الآحاد لدينا تتمثل في تعديل الراوي وعدم جرحه بيان عدله ومناقبه في الإسلام بصرف النظر عن عدم قبول العقل لما يرويه من متن عن قول النبي ﷺ في أنه قاله وهذا القول منقول عن قول الله تعالى .

قال الإمام السبكي : " خبر الواحد لا يفيد العلم إلا بقرينة ، كما في إخبار الرجل بموت ولده المشرف على الموت مع قرينة البكاء وإحضار الكفن والنعش ، وقال الأكثر : لا يفيده مطلقاً . "(٩٣)

(٩١) ابن قيم الجوزية ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف ـ حققه محمود محمد استنابولي ص١٠.
(٩٢) عبد القاهر البغدادي ـ أصول الدين ص١٢.
(٩٣) الإمام السبكي ـ جمع الجوامع والمحلى في شرحه ج٢ ص١٥٧.

٥- إن كانت أحاديث الآحاد ظنية الدلالة والعلم بها يجب أن يكون بقرينة فهذا ما جعل العلماء يأخذون في العمليات دون العلم بها ، ولكن نقول يجب العمل به والعلم به أيضاً وإن كان العلم به ظاهرياً حتى لا نوجب رد قول النبي ﷺ الذي أتانا من ثقاة عدول ، وقد ذكرنا قبل ذلك أن رد أحاديث الآحاد بالاثنين في الشهادة لأن الشهادة متفاوتة ومختلفة بحسب أحوالها فتجوز الشهادة بواحدة من النساء دون الرجال ، وفي أحوال أخرى لا تصح إلا بشاهدي عدل ، وفي أحوال أخرى لا تجوز إلا بأربعة شهود عدول .

قال ابن عبد البر : "اختلف أصحابنا في خبر الواحد هل يوجب العلم والعمل جميعاً أم يوجب العمل دون العلم ؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم أنه يوجب العمل دون العلم ، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر ، ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد به على الله وقطع العذر بمجيئه قطعاً ولا خلاف فيه ، وقال قوم كثير من أهل الأثر وبعض أهل النظر : إنه يوجب العلم الظاهر والعمل جميعاً ، منهم الحسين الكرابيسي وغيره ، وذكر ابن خويزمنداد أن هذا القول يخرج على مذهب مالك ، قال أبو عمر : الذي نقول به إنه يوجب العمل دون العلم كشهادة الشاهدين والأربعة سواء ." (٩٤)

وأقول : إن هذا الكلام فيه نظر قد رددنا عليه مسبقاً .

٧- يرجع اختلاف الأمة في خبر الآحاد إلى يقين أو ظن العلم بأخبار الآحاد وإن اجتمعوا واتفقوا على يقين العمل به دون العلم وهذا راجع إلى وقوف العقل أمام متون لا يستطيع إدراكها ، ففضلوا أن يقولوا على تلك الأخبار أنها ظنية العلم ويقينية العمل .

(٩٤) ابن عبد البر – التمهيد ج١ص٧.

قال سعد الدين التفتازاني : " خبر الواحد يوجب العمل دون علم اليقين، وقيل : لا يجب شيئاً منهما وقيل : يوجبهما جميعاً ، ووجه ذلك أن الجمهور ذهبوا إلى أنه يوجب العمل دون العلم ." (٩٥)

٨-لما تصادم العقل بمتون أخبار الآحاد عند الذين ترددوا في حجيته وعندما آلمتهم ضمائرهم في رد أحاديث النبي ﷺ بعد أن ثبت صحتها رغم ورودها بطريق الآحاد لجأوا إلى طريقة التأويل بمحاولة إخراج المتن المعصوم عن ظاهره لمعنى آخر يوافق عقولهم ويتمشى مع أهوائهم .

قال الإمام البيهقي :- " ولهذا الوجه من الاحتمال ترك أهل النظر الاحتجاج بأخبار الآحاد في صفات الله تعالى إذا لم يكن لما انفرد منها أصل الكتاب أو الإجماع واشتغلوا بتأويله ." (٩٦)

٩- وقد أجمعت الأمة على أن كتاب البخاري هو أصح الكتب في السنة المطهرة هو وكتاب مسلم ، فإذا كان أحدهما أو كليهما ذاكراً لرواية الواحد من الآحاد فهذا يعد في ذاته حجة والدليل على الأخذ به .

قال الإمام البخاري :-" باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام "

قال **الحافظ ابن حجر** في شرحه عليه : " وقوله الفرائض بعد قوله في الأذان والصلاة والصوم من عطف العام على الخاص وأفرد الثلاثة بالذكر للاهتمام بها. " (٩٧)

---

(٩٥) سعد الدين التفتازاني ــ التلويح ج٢ص٣و٤.
(٩٦) الإمام البيهقي ــ الأسماء والصفات ص٣٥٧.
(٩٧) ابن حجر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ــ أخبار الآحاد ج١٣ ص٢٣١.

١٠ – ورغم اختلاف العلماء في حجية أحاديث الآحاد من جهة إفادته في العمل أو العلم إلا أن أحاديث خبر الآحاد في البخاري ومسلم دون غيرهما حجة يجب العمل والعلم بهم وفي هذه الحالة لا نقول أن تلك الأحاديث تفيد العلم الظني بل العلم اليقيني فضلاً عن العمل بهم في العمليات .

قال الإمام النووي: "وأما خبر الواحد فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر سواء كان الراوي له واحداً أو أكثر ، واختلف في حكمه والذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول ، أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها ويفيد الظن ولا يفيد العلم ، وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنه يوجب العلم ، وقال بعضهم العلم الظاهر دون الباطن ، وذهب بعض المحدثين إلى أن الآحاد التي في صحيح البخاري أو صحيح مسلم تفيد العلم دون غيرها من الآحاد ." (٩٨)

١١– قال البعض أن خبر الواحد لا يفيد العلم إذا قيس بالعقل أما التعبد لله فيوجب قبول تلك الروايات الأحادية ؛ ولأن علماء الحديث ذكروا أن ذلك يورث العلم فالإنسان يتقرب إلى الله بقبول السمعيات وإن كان عقله يرفضه ويقول حينئذ سمعنا وأطعنا ولا يكون كالذين قالوا سمعنا وعصينا.

قال ابن الأثير :– " وخبر الواحد لا يفيد العلم ، ولكنا متعبدون به وما حكي عن المحدثين من أن ذلك يورث العلم ، والذي ذهب إليه الجماهير من سلف الأئمة من الصحابة والتابعين والفقهاء والمتكلمين ، أن لا

(٩٨) الإمام النووي شرح صحيح مسلم ج١ ص١٣١

يستحيل التعبد بخبر الواحد عقلاً ولا يجب التعبد عقلاً ، وأن التعبد واقع سماعاً بدليل قبول الصحابة خبر الواحد وعملهم به في وقائع شتى لا تنحصر .(٩٩)

١٢-إن أعلم الناس بخبر الآحاد هم أهل الحديث وبخاصة اللذين حرصوا على عدم تكذيب الصحابي العدل الثقة لأنهم اعتقدوا أن الذي يترتب على تكذيبه هو تكذيب النبي ﷺ ومن نقل عنه وهو الله ﷻ ففضلوا القرب إلى الله بقبول متون سمعية وإن أبتها عقولهم .

قال إمام الحرمين : " ذهبت طائفة من الحشوية من الحنابلة وكتبة الحديث إلى أن خبر الواحد يوجب العلم ." (١٠٠)

١٣-إن خبر الواحد مقبول والعمل به واجب ، وهذا يرجع إلى علة أن ما ذكر هو قول النبي ﷺ فيجب قبوله والتسليم به وبذل الإنسان قدر انفعاله بمحبته والرضا به لأن كل ذلك يعد قربة إلى الله .

قال الخطيب البغدادي :" خبر الواحد لا يقبل في شيء من أبواب الدين المأخوذ على المكلفين العلم بها والقطع عليها ؛ والعلة في ذلك أنه إذا لم يعلم أن الخبر قول رسول الله ﷺ كان أبعد من العلم بمضمونه ، فأما ما عدا ذلك من الأحكام التي لم يوجب علينا العلم بأن النبي ﷺ قررها وأخبر عن الله ﷻ بها فإن خبر الواحد مقبول والعمل به واجب ." (١٠١)

---

(٩٩) ابن الأثير ـ مقدمة جامع الأصول ص١٤٥.

(١٠٠) إمام الحرمين ـ البرهان ص٦٠٦.

(١٠١) الخطيب البغدادي ـ الكفاية في علم الرواية ص٤٣٢ باب ما ذكر فيه خبر الواحد وما لا يقبل فيها .

١٥-أن الذين قالوا إن أخبار الآحاد تفيد العلم الظاهري دون الباطن فنقول لعلهم قصدوا علم العمل هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن العلم الظني ليس له ظاهر ولا باطن خصوصاً إذا تعلق بالإيمان القلبي الذي هو ظاهر وواضح لله ﷻ من أن هذا الإنسان قد قبل ورضي وسلم لما قاله النبي ﷺ أو لم يقله ولم يسلم به ولم يرضى به عقله ، والمحدثون هم أعلم الناس وأعلم العلماء بخبر الآحاد وهم الذين محصوا الرجال الرواة وتحققوا من عدلهم والثقة فيهم فقبلوا رواياتهم عن النبي ﷺ وقدموها للأمة فارتضتها الأمة منهم على أن ذلك مما ارتضته الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم .

قال الإمام الغزالي : " اعلم أنا نريد بخبر الواحد في هذا المقام ما لا ينتهي من الأخبار إلى حد التواتر المفيد للعلم ، فما نقله جماعة من خمسة أو ستة مثلا فهو خبر الواحد ، وإذا عرفت هذا فنقول : خبر الواحد لا يفيد العلم وهو معلوم بالضرورة ، فإنا لا نصدق بكل ما نسمع ، ولو صدقنا وقدرنا تعارض خبرين ، فكيف نصدق بالضدين ، وما حكي عن المحدثين من أن ذلك يوجب العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل إذ يسمى الظن علماً ، ولهذا قال بعضهم : يورث العلم الظاهر والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظن . "(١٠٢)

١٦-إذا كان المسلمون متفاوتين في درجات الإيمان فهذا راجع إلى مدى قبولهم وتسليمهم لهذا الدين فهم متفاوتون بحسب القبول والرضا بما يسمعونه من نصوص الشرع فالذي قبل خبر الآحاد واطمأن قلبه بها

(١٠٢) الإمام الغزالي ــ المستصفى ج١ ص١٤٥.

وتقرب إلى الله بهذا القبول والرضا فهذا أمر حسن وتمنى لغيره أن ينال تلك القربة عند الله ﷻ لكن الذي ردها يأبى ذلك وفوق كل هذا يحمل غيره على أن يردها ويحاول تقديم ما استطاع إليه سبيلاً من أدلة وبراهين على عدم حجية أحاديث الآحاد وهذا شأن الإباضية وأمثالها ممن ردوا أحاديث الآحاد .

قال السيد محمد رشيد رضا :- " إن بعض أحاديث الآحاد تكون حجة عند من ثبتت عنده واطمأن قلبه بها ، ولا تكون حجة على غيره يلزم العمل بها ، ولذلك لم يكن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ يكتبون جميع ما سمعوه من الأحاديث ويدعون إليها ، مع دعوتهم إلى اتباع القرآن والعمل به وبالسنة العملية المتبعة المبينة له ، إلا قليلاً من بيان السنة ـ كصحيفة على كرم الله وجهه ـ المشتملة على بعض الأحكام كالدية وفكاك الأسير وتحريم المدينة كمكة ، ولم يرض الإمام مالك من الخليفتين المنصور والرشيد أن يحملا الناس على العمل بكتبه حتى الموطأ ، وإنما يجب العمل بأحاديث الآحاد على من وثق بها رواية ودلالة . (١٠٣)

فهذه أدلة قليلة من كثير في حجية أحاديث الآحاد وقبولها والتسليم والرضا بها مهما كان العقل واقفا أمامها ، وهذا يرجع إلى أن تلك الأحاديث وردت سماعاً عن المعصوم ﷺ وبطرق صحيحة ثبت عدل وثقة رواتها، فلا حجة للإباضية على ما ادعته في رفض تلك الأحاديث ، وأرى أنهم رفضوها لقياسهم العقلي في بعض المسائل العقائدية مثل رؤية الله وعدم الشفاعة لمرتكب الكبيرة وهذا ما سنوضحه بإذن الله في الصفحات الآتية.

---

(١٠٣) محمد رشيد رضا / تفسير المنار ج١ ص١٣٨.

ثانياً : إنكار الإباضية رؤية الله .

سلكت الإباضية مسلك العقلانيين أهل القدر وخصوصاً في مسألة رؤية الله فقد أعطوها اهتماماً زائداً وقالوا بنفي رؤية الله ﷻ في الدنيا والآخرة، وذهبوا بذلك إلى مخالفة بعض المذاهب الأخرى من سلف الأمة وتابعيها وكثير من أهل النظر والرأي إلى جانب المحدثين والفقهاء الذين قالوا برؤية الله في الآخرة بدليل قول الله تعالى :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ..﴾ يونس٢٦ .

لكن الإباضية ترفض ذلك وتمنعه منعاً تاماً سواء في الدنيا أو في الآخرة، وقد احتجوا على ذلك بأدلة نقلية وعقلية تؤيد مدعاهم ، وسوف نذكر أدلتنا وأدلتهم نقلية وعقلية لكي يتضح مدى ما وصلت إلية هذه الفرقة من مزاعم .

فيعرفون الرؤية في كتبهم قائلين :-" الرؤية هي اتصال شعاع الباصرة بالمرئى أو انطباع صورة المرأى في الحدقة ، هذه هي حقيقة الرؤية التي كانت العرب تعرفها من عربيتهم ولا يطلقونها على العلم ونحوه إلا تجوزاً . " (١٠٤)

لكن هناك نقطة هامة هي أن رؤية الله في الآخرة لها مقاييس أخرى لا نعلمها فلماذا نقف أمام تعريف الرؤية ونقيس بعقولنا الله ﷻ كشيء مرئي مرسوماً في حدقة العين ؟ فالأمر أكبر من إدركنا وتصوراتنا ، لكن الإباضية قاست ذلك بالعقل ، وسوف نذكر ذلك من خلال ما قدموه من أدلة .

(١٠٤) السالمي ــ مسند الإمام ربيع طبعة عمان ج١ص١٨٨.

أدلة الإباضية على عدم الرؤية .

أولاً : الأدلة النقلية :- قوله ﷻ : ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ .﴾ الأنعام ١٠٣.

قال السالمي : " هذه الآية صريحة في نفي الرؤية عنه ﷻ لوجهين : أحدهما : أنه نفى إدراك الأبصار له تعالى مطلقاً ، فهي نفى إدراك كل بصر له تعالى .

وثانيهما : أنه تعالى ذكر هذه الآية متمدحاً بها كما تمدح بنفي الولد ، وبنفي السِّنَة ، فنفى الإدراك مدح له تعالى لهذه الآية ، وما كان مدحاً له تعالى فلا يصح زواله عند اتصافه بهذه لأن ما كان سبباً للمدح فهو كمال وهذه نقص ولا يصح أن يزول شيء من الكماليات الإلهية ." (١٠٥)

قوله تعالى : **﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ٠٠ ﴾** الأعراف ١٤٣ .

قال السالمي :" ففيها أجاب الله موسى عليه السلام بانتفاء الرؤية عنه تعالى ، والاستدلال بها على نفي الرؤية من وجهين :

أحدهما : أنه تعالى نفاها بلن وهي لنفي الاستقبال المؤبد ، فيكون نفيها دائماً في الدنيا والآخرة ؛ لأن علماء اللغة أجمعوا على أن " لن " تقتضي النفي والتأبيد .

ثانيهما : أنه تعالى نفاها عن موسى كليمه ، ومتى ما نفاها عن كليمه ، فغيره أحق بنفيها عنه ." (١٠٦)

(١٠٥) السالمي ـ بهجة الأنوار ج١ ص٩١ .
(١٠٦) السالمي ـ مشارق الأنوار ص٢٠٣

ثانياً : الأدلة العقلية لنفي الرؤية :-

قدم السالمي أدلة على عدم الرؤية واستحالتها حيث اشترط لها تسع شروط يجب توافرها للرائي والمرأي فنزه الله ﷻ وعطل نصوص الرؤية لله ﷻ مستنداً إلى ما توصل إليه عقله من تحديد جهة الشيء المرأي وهو الله ﷻ ، وأيضاً تبعيضه حتى يمكن لحدقة العين مشاهدته ، وفي أول كلامه ذكر أن عدم الرؤية مسألة يجب ألا يكون عليها دليل إذ الأصل فيها المنع ، وعلى الذي يريد إثباتها أن يقدم الأدلة على ذلك ، فقال في كتاب **مشارق الأنوار** : " اعلم أنه لو لم نذكر دليلاً قط على نفي الرؤية واستحالتها لاكتفينا بمقام المنع لأن الأصل عدمها ، وعلى مثبتها الدليل ، وقد عرفت سقوط ما تعلق بها فبقي النفي على أصله ، ومع ذلك فهناك أدلة للاستدلال على نفيها واستحالتها :

أولاً : الأدلة العقلية : فهي تدور حول الشروط التي يجب توافرها للرؤية إذ أن لها تسعة شروط هي : سلامة الحاسة ، وكون الشيء جائز للرؤية ، مع حضوره للحاسة ، ومقابلته للباصرة في جهة من الجهات ، أو كونه في حكم المقابلة ، وعدم غاية الصغر ، فان الصغير جداً لا يدركه البصر قطعاً ، وعدم اللطافة بأن يكون كثيفاً أي ذا لون في الجملة وإن كان ضعيفاً ، وعدم غاية البعد وهو مختلف بحسب وضعها ، وعدم غاية القرب ؛ فإن المبصر إذا التصق بسطح البصر بطل إدراكه بالكلية ، وعدم الحجاب الحائل وهو الجسم الملون المتوسط بينهما ، والأخير أن يكون مضيئاً بذاته أو بغيره .

ثم قال فإذا عرفت هذه الشروط ظهر لك استحالتها على الله تعالى لأنها لا تعقل إلا في جسم ، والله تعالى ليس بجسم ولا عرض ومن لوازم الرؤية

التميز أي التبين للناظر تبين المرأي وشخصه ، والله تعالى يستحيل عليه هذا اللازم وباستحالة اللازم يستحيل الملزوم ، كما أن لزوم الرؤية الكيف، فمعنى الكيفية اللغوية التي هي عبارة عن حال الشيء وصفاته لأنها هي اللائقة بهذا المقام ، لأن من رأى الشيء عرف حاله وصفاته المرئيتين ، وكذلك فإن من لوازم الرؤية تبعض المرأى لأن شعاع الباصرة إما أن يقع على جميع أجزاء المرأي ، فيصبح تبعيضه ضرورة، لأن ما أحيط به متبعض لا محالة ، وإما أن يقع على جزء منه ، وذلك الجزء المرأي هو بعضه ، فيصبح تبعيضه حينئذ بالفعل ، وأيضاً فإن من لوازم الرؤية التميز ، أي تمييز المرئي في جهة وهو من المحال على الله تعالى ، ومن شروط الرؤية أيضاً التقابل أي أن المقابلة شرط لا تصح بدونها ، وهذه المقابلة أيضا أمر غير ممكن في حق ذاته ﷻ . " (١٠٧)

أدلة المثبتين لرؤية الله .

أولاً : الأدلة النقلية :-

تعددت النصوص الشرعية المثبتة لرؤية الله ﷻ سواء من القرآن الكريم أو من السنة المطهرة .(١٠٨)

وسوف أذكر تلك الآيات الدالة على رؤية الله صراحة أو التي ذكرت حجب الله عن المحرومين من هذه النعمة العظمى من الكافرين ، وهذه الآيات هي على النحو الآتي :-

ا- قوله ﷻ ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ .﴾ القيامة ٢٢- ٢٣.

---

(١٠٧) السالمي ـ مشارق الأنوار ص٢٠٣.

(١٠٨) ابن قيم الجوزية / فتاوى رسول الله ﷺ مكتبة الاعتصام ص٩ تحت عنوان هل نرى ربنا يوم القيامة متفق عليه ، وأيضا كيف نراه ونحن ملء الأرض وهو واحد ؟ رواه الإمام أحمد .

٢- قوله ﷻ ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ... ﴾ يونس ٢٦ .

٣- قوله ﷻ ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ البقرة ٤٦ .

٤- قوله ﷻ ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ . ﴾ الانشقاق٦ .

٥-ومنها قوله ﷻ ﴿ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ . ﴾ المطففين ٢٣ .

٦- وقوله ﷻ ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ . ﴾ المطففين ١٥

* قال ابن كثير في تفسيره : " ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . ﴾ أي تراه عياناً ، كما رواه البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ في صحيحه : " **إنكم سترون ربكم عيانا** ."

وقد ثبت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : **هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونهما سحاب** ؟ قالوا : لا ، قال : **فإنكم ترون ربكم كذلك** "

وفي الصحيحين عن جرير قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : **إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا** "

وفى الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : **جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن** .

وفى إفراد مسلم عن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال : **إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تعالى تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلي ربهم وهى الزيادة ، ثم تلا هذه الآية ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ... ﴾** يونس٢٦ .

وفى أفراد مسلم عن جابر في حديثه :"**إن الله يتجلى للمؤمنين أن يضحك**" يعنى في عر صات القيامة .

ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم ﷻ في العرصات وفى روضات الجنات .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الملك بن أبجر، حدثنا يزيد بن أبي فاختة ، عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

" **إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر إلى وجه الله مرتين** " رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن نوير قال : سمعت ابن عمر فذكره .. ، قال : ورواه عبد الملك بن أبجر عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ، وكذلك رواه الثوري عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرفعه .

ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها مـــن الصحـــاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقاً في مواضع من هـــذا التفسير وبالله التوفيق ، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام ، وهـــداة الأنـــام ، ومن تأويل ذلك المراد بألى ـــ مفرد الآلاء ـــ وهى النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ .﴾ قال تنتظر الثـــواب مـــن ربها، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد ، وكذا قال أبـــو صـــالح أيضاً فقد أبعد هذا الناظر النجعة وأبطل فيما ذهب إليه ، وأين هو مـــن قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ .﴾ المطففين ١٥ .

قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبـــرار يرونه عز وجل ، ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دل عليـــه سياق الآية الكريمة ، وهى قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ .﴾ .

قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا ابن المبارك عـــن الحسن ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . ﴾ قال حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ .﴾ قال تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضرع وهى تنظر إلى الخالق ." (١٠٩)

وقد تضمن هذا النص معظم آيات إثبات الرؤية لله ﷻ كما عضدها ابـــن كثير ﷺ ببعض أحاديث النبي ﷺ المثبتة لذلك ، وهى كما نرى أحاديث صحيحة متفق عليها .

(١٠٩) ابن كثير ــ تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٥٠.

ثانياً: الأدلة العقلية للمثبتين .

تعددت أدلة المثبتين على رؤية الله ﷻ سواء نقلية ــ كما سبق ذكرها ــ وأيضاً عقلية كما سيتضح في السطور الآتية ، وقد استندوا بالعقل من خلال ما استدلوا به من نصوص الشرع على رؤية الله فمن ذلك :-

قول أبي منصور الماتريدي رحمه الله : " القول في رؤية الرب ﷻ عندنا لازم وحق من غير إدراك ولا تفسير :

فأما الدليل الأول على الرؤية فقوله تعالى : **﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ . ﴾** ، ولو كان لا يُرى لم يكن لنفي الإدراك حكمة ؛ إذ يدرك غيره بغير رؤية ، فموضع نفي الإدراك ــ وغيره من الخلق لا يدرك إلا بالرؤية ــ لا معنى له ، وبالله التوفيق .

والثاني:قول موسى ﷺ : **﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ... ﴾**الأعراف ١٤٧.

ولو كان لا يجوز الرؤيه لكان ذلك السؤال منه جهل بربه ومن يجهله لا يحتمل أن يكون موضعا لرسالته أميناً على وحيه .

وبعد فإن الله تعالى لم ينهه ولا أيأسه ، وبدون ذلك نهى نوحاً وعاتب آدم وغيرهما من الرسل ، وذلك لو كان لا يجوز يبلغ الكفر .

ثم قال في موضع آخر : ولا نقول بالإدراك لقوله : لا تدركه الأبصار ، فقد امتدح به بنفي الإدراك لا بنفي الرؤية وهو كقوله : **﴿ ولا يحيطون به علما ﴾** كان في ذلك إيجاب العلم ونفي الإحاطة ، فمثله في حق الإدراك وبالله التوفيق .

وأيضا إن الإدراك إنما هو الإحاطة بالمحدود ، والله يتعالى عن وصف الحد إذ هو نهاية وتقصير عما هو أعلى منه ، على أنه واحدي الذات ،

والحد وصف المتصل الأجزاء حتى ينقضي ، مع إحالة القول بـالحد ، أو كان ولا ما يحد أو به يحد فهو على ذلك لا يتغير ، على أنه لكل شئ حداً يدرك بسبيله نحو الطعم واللون والذوق والرائحة وغير ذلك من حـدود خاصية الأشياء ، جعل الله لكل شيء من ذلك وجهاً يدرك به ويحاط بـه حتى العقول والأعراض ، فأخبر الله أنه ليس بذي حدود وجـهات هـي طرف إدراكه بالأسباب الموضوعة لتلك الجهات .(١١٠)

فهذه أدلة عقلية صيغت في أدلة شرعية وعلى كل لبيب الغوص في دلالة تلك النصوص الشرعية ليخرج الدلالات العقلية الواضحة المثبتة لرؤيـة الله ، فالله ﷻ لا يستطيع أي إنسان أن يدركه لكن بقـدرة الله ومشـيئته تحصل الرؤية ، مثل رؤية إنسان للقمر أو للشمس فـهل يُقـال إن هـذا الإنسان قد أدرك القمر بصخوره أو أدرك الشمس بحرارتها بالتـأكيد لا ، وأيضا رؤية إنسان لمبنى نقول إنه رآه ولا نقول أنه أدركه أي وعى كـل ما فيه من أساس وغرف وطرق إلى آخره .

فدلالة آية سورة الأنعام واضحة لكل لبيب فطن يثبـت الرؤيـة وينفـي الإدراك .

قال أبو الحسن الأشعري : " إن قول الله ﷻ ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَـارُ ﴾ أراد بها لا تدرك غيره الأبصار ولم يرد أنها لا تدركه ؟ وهـذا مـا لا يقدرون على الفرق فيه ، ومما يدل على أن الله تعالى يُـرى بالأبصـار قول موسى عليه السلام **﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾** ولا يجوز أن يكون موسـى ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ الذي قد ألبسه الله تعالى جلباب النبيين ،

(١١٠) أبو منصور الماتريدي ــ كتاب التوحيد ــ تحقيق /فتح الله خليـف ــ طبعـة مكتبـة الجامعات المصرية ص٧٧-٨١ .

وعصمه بما عصم به المرسلين ، قد سأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك على موسى عليه السلام فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلا ، وأن الرؤية جائزة على ربنا تبارك وتعالى .

ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا تبارك وتعالى كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى عليه السلام ، وعلموا هم لكانوا ــ على قولهم ــ أعلم بالله من موسى عليه السلام وهذا ما لا يدعيه مسلم .»(١١١)

ويضاف إلى ما سبق من أدلة دليل آخر وهو :-

أن الله تعالى موجود ، وكل موجود يصح أن يرى ، فينتج أن الله يصح أن يرى ، هذا قياس من الشكل الأول مركب من مقدمتين : صغرى وكبرى ، أما دليل الصغرى القائلة الله موجود فظاهر لا شك فيه ، وأما دليل الكبرى وكل موجود يصح أن يرى فدليلها ، إذا رأينا الأشياء مشتركة في الرؤية ، ولا علة لاشتراكها في الرؤية إلا لكون هذه الأشياء موجودة ، فعلى ذلك فإن الوجود هو الوصف المشترك بين جميع الموجودات وهو مصحح لرؤية الحوادث ، وبذلك تصح رؤية البارئ.»(١١٢)

هذا وإن هناك أدلة كثيرة عقلية على رؤية الباري جل جلاله من أراد الاطلاع عليها فعليه بالمطولات . (١١٣) التي ذكرت أن رؤية الله ممكنة عقلا

---

(١١١) أبو الحسن الأشعري ــ الإبانة عن أصول الديانة ــ حققه بشير محمد عيون ــ مكتبة دار البيان ص٦٠ .

(١١٢) الجرجاني ــ شرح المواقف في علم الكلام ــ طبعة دار الحلبي ص١٨٨.

(١١٣) فخر الدين الرازي ــ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ــ تقديم طه عبد الرؤوف سعد ــ طبعة المكتبات الأزهرية ص١٩١ ، وانظر عبد الرحمن الأصفهاني ــ شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ط ١ بمصر سنة ١٣٢٣ هـ ص١٨٥ وانظر فخر الدين الرازي ــ أصول الدين المكتبات الأزهرية ص٧٠ .

رغم ما قدمته الإباضية من أدلة تجعل رؤية الله مستحيلة ، لكنهم قاسوا ذلك بعقولهم وتعاملوا مع نصوص القرآن الصريحة بالتأويل ، ومع نصوص السنة المطهرة بردها بحجة أنها وردت بطرق الآحاد ، وقد سبق ذكر تهافت رأيهم هذا في موضعه .

أما سلفنا الصالح ــ ومن سار على دربهم ــ فقد التزموا واعتقدوا بما تنص عليه نصوص الشرع من إثبات رؤية الله ﷻ .

ثالثا : إنكار الإباضية الشفاعة لمرتكب الكبيرة .

زعمت الإباضية أنهم بنوا مذهبهم على أسس سليمة ومنهج قويم استمدوه من آيات القرآن الكريم والسنة المطهرة من أن مرتكب الكبيرة كافر مستحق الخلود في النار ، مستدلين على ذلك بفهمهم المريض لبعض آيات القرآن الكريم وبعض أحاديث السنة ، ومحتجين بعقولهم من أن مرتكب الكبيرة لا شفاعة له ، وقالوا لو فرضنا أن الشفاعة جائزة لأهل النار إذن لا داعي لأن يصلي الناس الفروض أو يجتنبوا المحرمات .

ونقول : إن الأمر بخلاف ذلك ، وما يذكرون فيه نظر ، فقد استدلوا ببعض آيات القرآن الكريم منها :-

١- قوله ﷻ ﴿ **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين .** ﴾ النساء ١٤ .

٢- قوله ﷻ ﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .** ﴾ البقرة ٨١ .

٣- وقوله ﷻ ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا .** ﴾ الجن ٢٣ .

ومن بعض الأحاديث التي استدلوا لها مثل قول النبي ﷺ :

١- لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي .

٢- ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي .

٣- من مات على كبيرة من الكبائر ولم يتب فلا تحق له الشفاعة .

ولكي نرد على شبههم في ذلك نذكر ما ذكروه في هذا الشأن من تعليق على الآيات السابقة :-

١- **قال السالمي** : " من الأدلة على خلود صاحب الكبيرة في النار – إن مات على غير توبة – قوله ﷺ ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً .** ﴾ الجن ٢٣ .

وأعترض بأن المراد من عصى الله ورسوله في التوحيد ، وأجيب بأن اللفظ عام ولا مخصص .

وقوله ﷺ ﴿ **بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .** ﴾ البقرة٨١ .

وأعترض بأن لا نسلم أن صاحب الكبيرة أحاطت به خطيئته من كل جانب ؛ لأن له حسنات لا يُظلم إياها ، ويجاب بأنه أحبط حسناته بإصراره على الكبيرة فلا يظلم شيئاً ؛ لأن الله قد أخبر أنه ﴿ **يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ المائدة ٢٧.(١١٤)

ذكروا تعليقاً مستنداً إلى أقوال النبي ﷺ في ذكر شأن ذلك حيث قالوا :

ومن السنة قوله ﷺ لبني عبد المطلب :

(إن الله أمرني أن أنذركم – أي بقوله : وأنذر عشيرتك الأقربين – ألا إني لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، ألا وإن أولئك منكم المتقون)

(١١٤) السالمي مشارق الأنوار ص

فإذا تركنا القول بالشفاعة لأهل الكبائر لهذه الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة ؛ لأنه ﷺ أمرنا بإتباعه وهو يقول : **إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فهو عني ، وما خالفه فليس مني)**

فرأينا القول بالشفاعة للذين ماتوا على غير توبة مخالفاً للكتاب والأخبار الصحيحة ؛ لأن الإتيان بكلمة التوحيد لا يغني عن القيام بالواجبات والاجتناب عن المنهيات ، فالحق ﷻ يقول : ﴿ **وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .** ﴾ العصر ١-٣.

والنبي ﷺ يقول: " **الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن ، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه** " (١١٥)

ولكي يمكننا الرد على مزاعم الإباضية في شأن عدم الشفاعة لمرتكب الكبيرة يجب أن نعرّف أولاً الشفاعة بأنها : الوسيلة والطلب ، هذا في اللغة ، وسؤال الخير من الغير للغير وهذا في العرف .

وطلب تعجيل دخول الجنة وزيادة درجة من الله لعبادة المؤمنين وإخراج بعض ممن دخلوا النار وفى قلوبهم ذرة من إيمان أو وزن شعيرة أو بوة من إيمان ، هذا ويعد تعريف الشرع للشفاعة .

أما بالنسبة لما ذكروه من آيات قرآنية احتجوا بها على خلود مرتكب الكبيرة في النار فنقول : إن ما استدلوا به من أن معصية الله تدخل نار جهنم خالداً فيها ، فقد استدلوا بقوله تعالى في بعض المواضع من القرآن الكريم من أن معصية الله تدخل نار جهنم خالداً فيها فيكون بذلك كافراً ، كما ورد في آية النساء ، والجن ، والبقرة ، السابق ذكرهم .

---

(١١٥) على بن محمد المنذري ــ كتاب الصراط المستقيم ص١١.

فحسب الفهم السليم الجامع للأدلة فقد قررنا انقسام المعصية إلى شرك وما دون الشرك .

وأن الخلود في النار الناشئ عن الكفر لا يكون إلا بارتكاب عمل من أعمال الشرك أما بقية الذنوب فهي لا توجب الخلود في النار بالتالي ــ وهى الصغائر والكبائر ــ وتكون المعصية المذكورة في الآيات هي المعصية بمعنى المحادة والكفر، وليست بمعنى الذنب الذي هو دون الشرك ، وهذا هو فهم جمهور السلف الذي يجمع الأطراف المستدل بها في الموضوع :

يقول الطبري في آية النساء: "فإن قال قائل : أو يخلد في النار مَنْ عصى الله ورسوله في قسمة المواريث ؟ قيل : نعم ،إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكاً في أن الله فرض عليه ما فرض على عباده هاتين الآيتين ، أو علم ذلك فحاد الله ورسوله في أمرهما .

وفى إشكالهم هذه الآية فهو من أهل النار ، لأنه باستنكاره حكم الله في تلك يصير بالله كافراً ومن ملة الإسلام خارجاً ." (١١٦)

ويقول القرطبي :".. والعصيان إن أريد به الكفر فالخلود على بابه ، وإن أريد به الكبائر وتجاوز أوامر الله تعالى فالخلود مستعار لمدة ما ، كما تقول: خلد الله ملكه ، وقال زهير: ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا " (١١٧)

فيصح في اللغة استعمال كلمة الخلود للتعبير عن طول المدة دون ظاهر اللفظ الذي هو عدم الخروج مطلقا ، والقرآن عربي نزل بلسان عربي مبين فيصح ــ بل يجب ــ فهمه بأسلوب خطاب العرب ، لا حسب

(١١٦) الطبري ــ تفسير الطبري ج٤ ص٢٩١ مطبعة الحلبي .
(١١٧) القرطبي ــ تفسير القرطبي ط دار الكتب العربية ج٥ص٨٢.

ظواهر دلالة اللغة ، لما يحدث ذلك من تناقض في المفاهيم الشرعية وتضارب في آياته لا داعي لها.

أما عن آية البقرة:﴿ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ البقرة ٨١.

فقد كان إجماع السلف على أنها في المشرك ، فالسيئة هنا هي الشرك ، وبهذا القول قال أبو وائل ومجاهد وقتادة والسدي وعطاء وابن جريج والربيع ، ونقله الطبري وابن كثير والقرطبي وغيرهم.

أما إحاطة الخطيئة فهي الذنوب الجمة التي يفعلها المشرك في حياته فتصبح محيطة به لا مهرب له منها .

قال الطبري : " فتأويل الآية إذاً : مَنْ أشرك بالله واقترف ذنوباً جمة فمات عليها قبل الإنابة والتوبة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أبدا". (١١٨)

ونقل هذا القول عن ابن عباس وقتادة والأعمش كذلك .

وقال القرطبي :" قوله تعالى (سيئة) السيئة الشرك ، وكذلك قال الحسن وقتادة ، قالا: والخطيئة الكبيرة ".

ولما قال تعالى :﴿ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ .﴾ دل على أن المعلق على شرطين لا يتم بأقلهما ، ومثله قوله تعالى :﴿ إن الذين قالوا ربنا ثم استقاموا .﴾ وقوله ﷺ لسفيان بن عبد الله الثقفي وقد قال له: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك .

قال ﷺ : **قل آمنت بالله ثم استقم** .

فدل ذلك على أن ارتكاب المعاصي دون الشرك لا يلزم منها الخلود في النار الناشئ عن الكفر .

(١١٨) الطبري ـ تفسير الطبري ج١ ص٣٨٦ .

أما عن قوله تعالى في النساء أن جزاء القاتل المتعمد هو نار جهنم خالداً فيها فإن هذا يجب أن يُجمع مع قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا .. ﴾ الحجرات ٩.

فصح أن القتال يكون بين مؤمنين دون كفر أي منهم ، كما أن الآية لم تنص على كفر القاتل العمد ، وإنما هي نص في دخول النار خالداً فيها ، وهذا تقرير من الله ﷻ على استحقاقه لذلك ، و إن لم يكن فيه إثبات الوقوع ذلك ،لإمكان تخلف الوعيد حسب قاعدة أهل السنة في ذلك ، من أن تخلف الوعيد من القادر صفة كمال له بعكس تخلف الوعد منه ، هذا وجه ، والوجه الآخر أنه يصح أن يكون الخلود هنا بمعنى طول المكث أو الأمد الطويل كما سبق أن نقلنا عن القرطبي ، وإنما أخذنا بهذا الوجه وأجرينا هذا المفهوم على الآية حتى لا ندفع أحاديث كثيرة سبقت من قبل من عدم كفر مرتكب المعصية دون الشرك عامة :

منها ما ورد في الطبري عن ابن عمر قال : كنا معشر أصحاب النبي ﷺ لا نشك في قاتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وشاهد الزور وقاطع الرحم حتى نزلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ .. ﴾ النساء٤٨ . فأمسكنا على الشهادة .(١١٩)

فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ فهموا أن الشرك هو خلاف هذه الأمور كلها ، ولا يقال المقصود هو القتل الخطأ مرفوع أصلاً عن المكلفين بشرط التوبة بعد العلم بالخطأ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .﴾ الأنعام ٥٤ .

(١١٩) الطبري ـ تفسير الطبري ج٥ ص١٢٦.

وقد ورد عن ابن عباس آثار على أنه لا توبة للقاتل ؛ إلا أن ذلك فتوى منه لرجل بعينه خوفاً من قتله لآخر كما ورد في القرطبي ، قال : أخبرنا أبو مالك الأشجعي عن سعد بن عبيده قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : ألمن قتل مؤمناً متعمداً توبة ؟ قال : لا إلا النار ، قال : فلما ذهب قال جلساؤه : أهكذا كنت تفتينا ؟ كنت تفتينا أن لمن قتل توبة مقبولة ، قال : إني لأحسبه رجلاً مغضباً يريد أن يقتل مؤمناً .

قال : فبعثوا في إثره فوجدوه كذلك .

هذا مذهب أهل السنة وهو الصحيح ، وأن هذه الآية مخصوصة ، ودليل التخصيص آيات وأخبار . (١٢٠)

فهذه الآية نزلت في مقيس بن ضبابة وهو قد قتل مؤمناً متعمداً ثم ارتد بعدها كافراً ، وقد ورد الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت يثبت أن الزنى والسرقة وقتل النفس هي غير الشرك بالله ، قال ﷺ : " تبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له . " (١٢١)

ولا يُقال هنا : إن الذنوب الواردة هي من الشرك ، وهي بيان له بعد ذكره ؛ لأن معنى هذا أن قوله ﷺ : (من أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له) يعني أن من أشرك بالله فقتل ردة كعقوبة في الدنيا كان كفارة له عن الشرك ، وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين

---

(١٢٠) القرطبي ــ تفسير القرطبي ج٥ ص٣٣٢.

(١٢١) عبد الله الشرقاوي ــ فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي ــ طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ص٧.

الإسلام أن قتل المشرك ردة في الدنيا لا يغني عن تخليده في النار أبداً كما نقل عن ابن عباس أن قوله (متعمداً) يعني مستحلاً القتل فهذا يؤول إلى الكفر .

قوله ﷺ : (**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة**) (١٢٢)

فهذا نص في أن قاتل النفس ليس كتارك دينه بل هو بمنزلة الزاني المحصن من إحلال الدم لا يستلزم الكفر بل يكون في حد فقط كما هو معلوم .

وقد جعلها رسول الله ﷺ في الحديث " ثلاث " مختلفة وليس واحدة عامة وبيان لها ، ثم إن العام يرد أولاً ثم يخصص منه بعدها بأن يذكر تارك دينه أولاً ، فثبت أن تارك دينه ليس كقاتل النفس ولا الزاني المحصن .

أما ما استدلت به الإباضية من أحاديث نبوية تذكر : أن الشفاعة ليست لأهل الكبائر من أمة سيدنا محمد ﷺ فهذه أحاديث موضوعة ، وعلى فرض صحتها فإنها تحمل على الذي ارتكب كبيرة ثم ارتد كفراً وشركاً، أو أنه استحل كبيرته وأنكر حرمتها وأصر عليها .

قال محمد الأمير : حديث لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي موضوع باتفاق وبتقدير صحته هو محمول على من ارتد منهم ، وغيره : أي وجب أن يعتقد أن غيره ﷺ من مرتضى الأخيار كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والأولياء يشفع على قد مقامه عند الله في أرباب الكبائر ، وفى الأخبار الدالة على ذلك مما أجمع عليه أهل السنة ودخل في الغير الشافع الله ﷺ فإنه يشفع فيمن قال لا إله إلا الله محمد

(١٢٢) متفق عليه .

رسول الله ولم يعمل خيراً قط ، والملائكة أيضاً لقوله ﷺ ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ فيشفعون فيمن كان على مكارم الأخلاق من عصاة بني آدم ، ولا يشفع أحد ممن ذكرنا إلا بعد انتهاء مدة المؤاخذة .

والشفاعة وإن كانت واجبة شرعاً إلا أن لها دليلاً عقلياً أشار إليه بقوله (إذ جائز) الواقع علة لقوله لا تمنع يعني لا تمنع الشفاعة شرعاً لما ورد من إثباتها ولا عقلاً لأنه يجوز عقلاً وسمعاً عليه تعالى تفضلاً وإحساناً (غفران غير الكفر) من الذنوب بلا توبة ولا شفاعة ، فبالشفاعة أولى لأنها ليست مستحيلة بل من مجوزات العقول وكل ما هو كذلك فهو واجب القبول ممتنع الرد شرعاً." (١٢٢)

وهذا راجع إلى أن الله فعال لما يريد وفي مقدوره العفو عن جميع العصاة من مرتكبي الكبيرة ، فالعقل يجوز ذلك ، وحديث عبادة بن الصامت شاهد على ذلك أن من أصاب كبيرة فستره الله فهو في المشيئة إن شاء عاقبة وإن شاء عفا عنه ، طبقا لقوله ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ النساء ١١٦ .

هذا إلى جانب ترجيح العفو والمغفرة لمرتكب الكبيرة ، كما قال الله ﷺ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . ﴾ الزمر ٥٣ .

قال البيجوري :(قوله إذ جائز غفران غير الكفر) هذا تعليل للشفاعة فكأنه قال لأنه يجوز عقلاً وسمعاً غفران غير الكفر من الذنوب بلا شفاعة أولى وأما غفران الكفر فهو وإن جاز عقلاً ممتنع سمعاً.

(١٢٢) محمد بن محمد الأمير ــ حاشية الأمير على شرح عبد السلام المالكي لجوهرة التوحيد للقاني ــ مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ص١٥٣.

قال ﷻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ وعلم مما تقرر أن المراد بالجواز في كلام المصنف الجواز العقلي والسمعي معاً ؛ ولذلك قيد بغير الكفر لأن غفران الكفر ممتنع سمعاً وإن جاز عقلاً .

والحكمة في غفران الذنوب دون الكفر أنها لا تنفك عن خوف عقاب ورجاء عفو ورحمة بخلاف الكفر ، وذلك أن صاحب الذنوب مسلم يعتقد نقص نفسه فيخاف العقاب ويرجو العفو والرحمة بخلاف صاحب الكفر فإنه لا يعتقد نقص نفسه فلا يخاف العقاب ولا يرجو العفو والرحمة (١٢٤) وبهذا تتضح مزاعم من أنكر الشفاعة لمرتكب الكبيرة من الإباضية والمعتزلة ومن شابههم ونقول:-إن الشفاعة ثابتة شرعاً وجائزة عقلاً لأهل المحشر ولزيادة الدرجات ولدخول الجنة بغير حساب ولمرتكبي الكبيرة ولأهل النار اللذين استحقوها بأن يخفف عنهم العذاب في أوقات معينة .

هذا بخلاف الشفاعة للكفار والمشركين من إخراجهم من النار فإن كان هذا جائز عقلاً فإنه ممتنع سمعاً وبذلك تتهافت معتقدات الإباضة من إنكارهم الشفاعة لمرتكبي الكبيرة من عصاة الأمة.

---

(١٢٤) إبراهيم البيجوري ــ شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ٢٢٧.

تحقيق وخلاصة البحث .

أولاً :- إن فرقة الإباضية قد أطلقت على نفسها اسم (**المحكمة**) وهذا في بداية نشأتها الأولى في عصر خلافة **علي بن أبي طالب** ﷺ ، وقد تم ذلك عند إعلان قولتهم المشهورة " **لا حكم إلا لله** " .

ثانياً :- إن الأحداث التي أدت إلى ظهور هذه الفرقة مضطربة ومتداخلة، وهذا يرجع إلى اختلاف الروايات التي كانت تروى بحسب فهم كل راوي وبمدى تأثره بالأحداث وبالفرقة التي ينتمي إليها .

ثالثاً:- أشهر الروايات التي تذكر تلك الأحداث هي أن الخليفة **علي بن أبي طالب** ﷺ قد رضي بالتحكيم رغماً عنه ؛ لأنه كان يستشعر خديعة القوم ومكرهم ، والذين قد حملوه على ذلك هم نفسهم الذين خرجوا عليه بمجرد قبوله التحكيم وهم الذين حكموا على الخليفة بالكفر وبمن ارتضى حكم الحكمين بالكفر أيضاً ، وقد طلبوا من الخليفة ومن شيعته الإنابة والتوبة .

رابعاً:- إن المتأمل في قصة التحكيم في جميع المصادر التي ذكرتها يجد فيها ما لا يرضي الله ، وأن رواياتها كلها سخافات نسبت إلى صحابة رسول الله ﷺ ما لا يليق وما ليس فيهم وما لم يقوموا به أصلاً مثل ما نسب إلى عمرو بن العاص ﷺ (١٢٥)

(١٢٥) ذكر أبو بكر بن العربي المالكي في كتاب العواصم من القواصم تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب طبعة مكتبة السنة ص١٧٥ وطبعة أخرى تحقيق عمار طالبي طبعة دار التراث مكتبة السنة ص٣٠٨ ذكر فيهما (وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضى الله وإذا لاحظتموه بعين المروءة ــ دون ديانة ــ رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين ، وفي الأقل جهل بين ....
والذي يصح من ذلك ما روى الأئمة كخليفة بن خياط والدارقطني : أنه لما خرج الطائفة العراقية في مائة ألف والشامية في سبعين أو تسعين ألفاً ونزلوا على الفرات بصفين ، اقتتلوا في أول يوم وهو الثلاثاء على الماء فغلب أهل العراق عليه .
ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين ويوم حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعوتين بالحق ، فكان من جهة علي الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت ، ====

خامساً :– إن رواية قصة التحكيم كلها كذب صراح وما حدث منها ما ذكر في المصادر والمراجع ، وإنما هي قصص وأساطير ألفها أهل الأهواء المبتدعة اللذين رغبوا في إرضاء الملوك والحكام .[(١٢٦)]

سادساً :– إن حقيقة قصة التحكيم الصحيحة [(١٢٧)] هي أن عمرو بن العاص ﷺ قد خلع معاوية ، وأن أبا موسى الأشعري ﷺ قد خلع علياً

----- ورفعت المصاحف من أهل الشام ودعوا إلى الصلح وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل : أبو موسى من جهة علي ، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص .
وكان أبو موسى رجلاً تقيا ثقفا فقيها عالما حسبما بيناه في كتاب سراج المريدين ، أرسله النبيﷺ إلى اليمن مع معاذ وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم ، وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعا في القول ، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تاكيداً لما أرادت من الفساد ، وتبع في ذلك بعض الجهال بعضاً وصنفوا فيه حكايات ، وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى ، وإنما بنوا ذلك على أن عمرا لما غدر أبا موسى في قصة التحكيم صار له الذكر في الدهاء والفكر وقالوا ٠٠٠٠رواياتهم المشهورة المتهافتة .

(١٢٦) قال القاضي أبو بكر ﷺ في العواصم من القواصم ص١٧٩ هذا كله كذب صراح ، ما جرى منه حرف قط ، وإنما هو شيء اخترعته المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك ، فتوارثته أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع .

(١٢٧) وإنما الذي روى الأئمة الثقات الاثبات أنهما لما اجتمعا للنظر في الأمر في عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه – عزل عمرو معاوية .
ذكر الدارقطني بسنده إلى حصين بن المنذر لما عزل عمرو معاوية جاء حصين بن المنذر فضرب فسطاطه قريبا من فسطاط معاوية ، فبلغ نثاه معاوية ، فأرسل إلي فقال : انه بلغني عن هذا ــ أي عن عمرو ــ كذا وكذا فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه ؟ فأتيته فقلت : أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه ؟ قال : قد قال الناس في ذلك ما قالوا ، والله ما كان الأمر على ما قالوا ولكن قلت لأبي موسى : ما ترى في هذا الأمر قال : أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، قلت : فأين تجعلني أنا ومعاوية ؟ فقال : إن يستغن بكما ففيكما معونة ، وإن يستغني عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما ، قال : فكانت هي التي فتل معاوية منها نفسه ، فأتيته فأخبرته أي فأتى حصين معاوية فأخبره ان الذي بلغه عنه كما بلغه ، فأرسل إلى أبي الأعور الذكواني فبعثه في خيله ، فخرج يركض فرسه ويقول : أين عدو الله أين هذا الفاسق ؟
قال أبو يوسف أظنه قال " إنما يريد حوباء نفسه فخرج عمرو الى فرس تحت فسطاطه فجال في ظهره عريانا فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول : إن الضجور أي الناقة التي تعربد عند الحلب قد تحتلب العلبة يا معاوية إن الضجور قد تحتلب العلبة فقال معاوية أحسبه ويربد الحالب فتدق انفه وتكفأ إناءه .

وتركا الأمر شورى بين المسلمين يختارون إمامهم بمبدأ الشورى والحرية المطلقة دون التعصب لأي شخص بعينه .

سابعاً:- وقعت فرقة(المحكمة) ـ التي صارت إباضية ـ الخارجة عن الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ في تصديق أسطورة التحكيم وبنت آرائها على قصة ملفقة مكذوبة وكفرت الإمام علي وشيعته ، وترتب على ذلك أحداث خطيرة كان نتيجتها معركة **النهروان** التي قتل فيها الجمع الغفير ، واعتقدوا أن هذه المعركة وهؤلاء الخارجون ما جاءوا إلا نتيجة نبوءة النبي ﷺ حيث قال ﷺ فيهم بأن تحقر صلاة أحدكم بجانب صلاتهم ، كما ذكر البخاري في صحيحه هذا الحديث .

ثامناً :- تعددت مسميات هذه الفرقة فكان منها المحكمة وجماعة المسلمين وأهل الحق والاستقامة والقراء ، وأيضاً القعدة ، ثم بعد ذلك استقروا على تسمية أنفسهم بفرقة الإباضية نسبة إلى أحد أئمتهم الذي اشتهر دون غيره وهو **عبد الله بن إباض** وكان أولهم **عبد الله بن وهب** الراسبي .

تاسعاً :- أن المحكمة كانوا يفهمون بعض آيات القرآن الكريم فهماً خاصاً يؤيد موقفهم ؛ ولذلك زاد إصرارهم وثباتهم على ما اعتقدوه من تخطئته ومن شايعه بقبولهم التحكيم .

عاشراً :- أما الجانب الآخر ، وهم الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ وشيعته كانوا ثابتون على موقفهم بعد أن استدلوا ببعض آيات القرآن الكريم تؤيد موقفهم فثبتوا عليه وأصروا إصراراً ورغم كل ذلك فإننا نرى أن الإمام علي قد حرص على مراجعة الخارجين عليه فمضى إليهم يحاورهم ويجادلهم حتى يقصر الطريق ويقرب الوجهات المختلفة .

حادي عشر :- إن معركة **النهروان** لم تكن في حسبان **علي بن أبي طالب** ﷺ لكن اضطر إلى خوضها فنجا من نجا ومات من مات ، لكن من قتل من أتباع ابن وهب كان كثير للغاية ولم ينج منهم سوى أقل من عشرة ولم يقتل من أتباع الإمام علي سوى أقل من عشرة .

ثاني عشر :- إن انتصار **الإمام علي** ﷺ وشيعته في معركة **النهروان** أدى إلى حقد ومقت فرقة المحكمة عليه ، مما ترتب عليه أن ترجموا هذا الحقد والمقت إلى تدبير جريمة قتل الغمام على كرم الله وجهه ، وبالفعل نجحوا في ذلك فقتلوه على يد أحدهم وهو **عبد الرحمن بن ملجم** .

ثالث عشر :- خرجت هذه الفرقة على أمرين أحدهما : بدعتهم في الإمامة إذ جوزوا أن تكون الإمامة من غير قريش ولذلك اختاروا **عبد الله بن وهب الراسبي** في أول عهدهم .

والثاني : أنهم قالوا أخطأ الإمام علي ﷺ في التحكيم إذ حكم الرجال ولا حكم إلا لله وهي كلمة حق أريد بها باطل .

رابع عشر :- وقد كذبت هذه الفرقة الإمام علي ﷺ في نقطتين : **الأولى** أنه حكم الرجال ، وليس ذلك صدقاً ؛ لأنهم هم الذين حملوه على التحكيم.
والثانية : أن تحكيم الرجال فإن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة وهم رجال ولهذا قال على ﷺ " **كلمة حق أريد بها باطل** " .

خامس عشر :- تخطت هذه الفرقة بخروجهم بالأمرين السابقين وتكذيبهم للأمرين السابقين أيضاً إلى تكفير الأمام علي ــ كرم الله وجهه ــ بل لعنوه هو وبعض الصحابة .

سادس عشر :- أن الأئمة اللذين أسسوا فرقة الإباضية هم **عبد الله بن وهب الراسبي** ، ثم جاء من بعده **أبو بلال مرداس بن حدير** ، ثم جاء

من بعده **عمران بن حطان** ، ثم جاء من بعده **جابر بن زيد** ، ثم **عبد الله بن إباض** ، وهو أشهرهم وقد نسبت الفرقة إليه .

سابع عشر :- ذكر **البغدادي والأشعري والشهرستاني** أن فرقة الخوارج قد انقسمت إلى فرق عديدة أولها فرقة المحكمة وفرق أخرى كان منها بعد انقسام أحدها فرقة الإباضية ، وقد انقسمت فرقة الإباضية إلى أربع فرق وهم **حفصية ، وحارثية ، ويزيدية ، وأصحاب طاعة لا يُراد الله بها** ، من هذه الأربعة ثلاثة معتدلة بالنسبة إلى الفرقة الرابعة والأخيرة فهي مغالية فيما اعتقدته وهى فرقة اليزيدية ، حيث قالوا بجواز بعثة نبي من العجم ، وينزل عليه كتاباً من السماء وينسخ شريعة محمد ﷺ وزعموا أن أتباع هذا النبي المنتظر هم الصابئون المذكورون في القرآن الكريم .

هذا إلى جانب آراء فاسدة ذكروها واعتقدوها وقد ذكرتها في موضعها .

ثامن عشر:- فرقة الحفصية تنسب إلى **حفص بن أبي المقدام** ، وقالت هذه الفرقة بأن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة وهى معرفة الله ﷻ ، وتأولوا في علي وعثمان مثلما تأولت الشيعة في أبي بكر وعمر .

تاسع عشر :- فرقة الحارثية تنسب هذه الفرقة إلى **حارث بين زيد الإباضي** ولم تعترف إلا بهذا الإمام هو وعبد الله **بن إباض** ، وقالت هذه الفرقة بالقدر وأن أفعال العباد غير مخلوقة لله ﷻ وقد كفرتها باقي فوق الإباضية .

عشرون :- فرقة **أصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها** ، وهذه الفرقة ترى أن الإنسان قد يكون مطيعاً لله إذا فعل شيئاً أمره الله تعالى به ، وإن لم يقصد الله بذلك الفعل ولا أراده به وهم بذلك على مذهب أبي الهزيل .

إحدى وعشرون :- اليزيدية تنسب إلى يزيد بن أبي أنيسة الخارجي ، وهو ليس المحدث المشهور ، وكان من البصرة ، ثم انتقل إلى تون بأرض فارس ، وكانت له آراء متطرفة منها : عدم إيمانه بأن محمد ﷺ خاتم النبيين ، وقال إن الله سيرسل نبي من العجم آخر الزمان وأتباعه سيكونون من الصابئة المذكورين في القرآن الكريم .

وقال إن في الأمة شاهدين هو أحدهما والآخر لا يدرى من هو ، وقال إن أهل الكتاب مؤمنون أولياء الله وإن ماتوا على هذا العقيدة : يهوديتهم أو نصرانيتهم .

وتولت هذه الفرقة المحكمة الأولى وتبرأت ممن كان بعد ذلك من أهل الأحداث وزعموا أنهم مسلمون دون غيرهم ممن كذب معتقداتهم ، وقد خالفوا الحفصية في الإكفار والتشريك .

ثاني وعشرون :- اختلفت فرق الإباضية في مسمى النفاق على ثلاث آراء :-

الرأي الأول : أن مسمى النفاق يطلق على جماعة معينة في عصر النبي ﷺ .

الرأي الثاني: يرى أن كل منافق مشرك .

أما الرأي الثالث : قال إن النفاق لا يوصف بالشرك ولا بالإيمان ولكنه بين هذا وذاك مستدلين بأية النساء١٤٢ .

ثالث وعشرون :-الإباضية متضاربة في موقفها من مخالفيهم حيث حكموا عليهم بالشرك تارة [١٢٨] وبالكفر للنعمة والأحكام وأنهم برآء من الشرك تارة أخرى[١٢٩]بحيث أنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار.

---

(١٢٨) ابن الأثير الكامل ج٣ ص٣٣٧سطر ٩و١٠.

(١٢٩) الشهرستاني ــ الملل والنحل ج٣ ص١٣٤سطر ١٠ والبغدادي الفرق بين الفرق ص٨٣ سطر ٣من أسفل .

أربع وعشرون :- تنكر الإباضية صلتهم بالخوراج ، وفرقة الخوراج هم اللذين عرفوا بخروجهم على الإمام علي ﷺ في معركة صفين ولم يرتضوا بالتحكيم ، والإباضية لها فهم خاص لمسمى الخروج حيث أنهم يعطون للفظ الخروج معنى سامياً ، وهو الخروج في سبيل الله مستدلين على ذلك بآيات من القرآن الكريم مثل آيات سورة النساء ١٠٠ والتوبة٤٦و٨٣ .

والإباضية لا تقبح الخروج السياسي الذي يكون مخالفاً للحاكم بل يجعلون الخروج مذموم في حالة تعلقه بمخالفة مسائل الشرع ، فقد استنكرت الإباضية خروج الأزارقة حيث سفكوا الدماء واستحلوا الأعراض .

وبذلك أنكرت الإباضية صلتها بالخوارج لما اشتهر عنها من صفحات سود سجل عليها التاريخ الإسلامي .

خمس وعشرون :- قالت الإباضية إن الناس قد التبس عليهم الخلط بين الخوراج والإباضية ، وهذا راجع إلى سببين : أحدهما أن الإباضية والخوارج قد اشتركتا في إنكارهم للتحكيم ، والسبب الآخر أن مسمى الخوارج لم يطلق إلا بعد فترة من التحكيم خصوصاً بعد ظهور الأزارقة.

ست وعشرون :- لكن الإباضية خلطت الأمور حيث أن مسمى الإباضية والخوارج لم يكن معروفاً في عصر الإمام علي – كرم الله وجهه – وكانوا يسمون أنفسهم بجماعة المسلمين أو المحكمة أو القاعدة ولم يكن هناك تمييز بين إباضي أو خارجي في هذه الفترة ، ثم إن فرقة جماعة المسلمين هذه كانت تتمادح لفظ الخروج على أنه جهاد في سبيل الله ويذمون القعود ، فالإباضية ليست محقة فيما زعمته في أن مسمى الخوارج لم يأت إلا متأخراً بعد رسوخ حكم الدولة الأموية .

سبع وعشرون:– سُميت الإباضية بهذا الاسم في وقت متأخر من ظهور جماعة المسلمين ونسبت تلك الفرقة إلى **عبد الله بن إباض** وهو صاحب زعماء **الأزارقة والصفرية والنجدات** ولكنهم اختلفوا وتفرقوا بعد كتاب نافع بن الأزرق .

ثمانية وعشرون :– سارت الإباضية في فهمها لنصوص القرآن والسنة سيراً خاصاً ماثلت فيه القدرية الثانية (**المعتزلة**) في إعمال العقل وتقديمه على الشرع ، بأن أولوا ما يوافق عقولهم خصوصاً في المسائل العقائدية مما ترتب عليه إنكارهم لأحاديث الآحاد وزعمهم بعدم حجتهم .

تسع وعشرون:– ذهبت الإباضية إلى عدم قبول خبر الواحد فردوا أحاديث الآحاد بحجج واهية ، تلك الحجج والأدلة لا تصل في رأينا إلى درجة الأدلة القطعية التي يجب اعتقادها والعمل بها وقد رددنا عليها وقدمنا أدلة معارضة لما ذهبوا إليه ، ذكرنا من خلالها حجية خبر الواحد وعدم رد أحاديث الآحاد مهما وقف العقل أمامها ، فراجع ما ذكرناه .

ثلاثون :– أن الذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها وإن قال البعض أنه يفيد الظن ، وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنه يوجب العلم ، وقال بعضهم العلم الظاهر دون الباطن ، وذهب بعض المحدثين إلى أن الآحاد التي في صحيح البخاري أو صحيح مسلم تفيد العلم دون غيرها من الآحاد ، لكن الإباضية قاست تلك الأحاديث بعقولهم فردوها ومنعوا حجيتها خصوصاً في الجانب العقدي مثل رؤية الله وعدم الشفاعة في مرتكب الكبيرة .

إحدى وثلاثون :– سلكت الإباضية مسلك المعتزلة ومن شابههم في مسألة عدم رؤية الله في الدنيا والآخرة ، وذهبوا بذلك إلى مخالفة سالف الأمة

وتابعيها وكثيراً من أهل النظر والرأي ، إلى جانب المحدثين والفقهاء الذين قالوا برؤية الله في الآخرة بأدلة نقلية صريحة الدلالة ، وأدلة عقلية مقبولة المنطق والإقناع العقلي .

ثاني وثلاثون :- كما أنكرت الإباضية الشفاعة لمرتكب الكبيرة من خلال ما فهمته من بعض آيات القرآن الكريم فهماً قاصراً خاطئاً ، بعيد عن فهم سلفنا الصالح رضوان الله عليهم والتابعين وتابعي التابعين وإجماع الأمة من علمائها الإجلاء من أن مرتكب الكبيرة غير مخلد في النار ، أما ما ذكرته آيه سورة النساء ١٤ من خلود العاصي فنقول : إن العصيان إذا أريد به الكفر فالخلود على بابه وأن أريد به الكبائر وتجاوز أوامر الله تعالى فالخلود مستعار لمدة ما .

ثلاثة وثلاثون :- أما الأحاديث التي استدلت بها الإباضية من عدم الشفاعة لمرتكب الكبيرة فقد بين علماء الأمة أنها موضوعه بالإجماع ، وعلى فرض صحتها فهي محمولة على من ارتد منهم ، واستحل المعصية أو جحد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة .

وعلى ذلك فالشفاعة ثابتة شرعاً وجائزة عقلاً خصوصاً لعصاه هذه الأمة ما دام الشرك بعيداً عنهم .

أربع وثلاثون :- هذه بعض المعتقدات الإباضية حيث إن معتقداتهم كثيرة وهذا البحث لا يتحمل ذكرها كلية فمن أراد الإطلاع عليها فعليه بكتب الإباضية المطبوعة بسلطنة عمان خصوصا المشهور منها .(١٣٠)

(١٣٠) محمد بن يوسف أطفيش / الذهب الخالص ـ طبعة المطابع العالمية سلطنة عمان وهو كتاب مكون من ٣٤٠ صفحة وبه مسائل عديدة تخص العقيدة والفروع الشرعية من خلال وجهة نظر تلك الفرقة (الإباضية) .

قائمة المراجع .

• القرآن الكريم .

(١) ابن الأثير ـ مقدمة جامع الأصول دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ج٣ ص١٦٦ ط دار الكتاب العربي.

(٣) ابن حجر ـ فتح الباري ـ كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام طبعة الريان الجزء الثالث ص ٧١٤ رقم الحديث ٣٦١٠ .

(٤) ابن أبي الحديد ـ نهج البلاغة ـ طبعة الحلبي ص٩٧.

(٥) ابن حجر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ـ أخبار الأحاد ج١٣ ص٢٣١.

(٦) ابن حزم الظاهري ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ط دار الفكر ١٩٨٠ ج٤.

(٧) ابن عبد البر ـ التمهيد ج١ دار القلم بيروت لبنان .

(٨) ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة ـ مؤسسة الحلبي .

(٩) ابن قتيبة ـ المعارف ـ مؤسسة الحلبي .

(١٠) ابن قيم الجوزية ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف حققه محمود محمد استنابولي .

(١١) ابن قيم الجوزية ـ فتاوى رسول الله ﷺ ـ مكتبة الاعتصام .

(١٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ دار الفكر العربي بيروت ج٨.

(١٣) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ج٤ .

(١٤) أبو بكر بن العربي المالكي ـ العواصم من القواصم ـ تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب مكتبة السنة .

(١٥) أبو بكر العربي المالكي ـ العواصم من القواصم ـ تحقيق عمار طالبي طبعة مكتبة التراث .
(١٦) أبو إسحاق إبراهيم أطفيش : الفرق بين الإباضية والخوارج ص٩.
(١٧) أبو الحسن الأشعري ـ الإبانة عن أصول الديانة حققه ـ بشير محمد عيون مكتبة دار البيان
(١٨) أبو منصور الماتريدي ـ كتاب التوحيد ـ تحقيق فتح الله خليف ـ طبعة مكتبة الجامعات المصرية .
(١٩) أبو الحسن الأشعري ـ مقالات الإسلاميين ـ دار النشر فرانز شتاينز.
(٢٠) بدر الدين الزركشي ـ الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة عن الصحابة ـ طبعة المكتب الإسلامي ط١ ١٩٨٥.
(٢١) إسماعيل بن محمد العجلوني ـ كشف الخفا ومزيل الإلباس ـ طبعة دار زاهد القدسي بمصر ج١ ص٣٧٤ رقم ١١٩٨.
(٢٢) عبد الرحمن الأصفهاني ـ شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ط ١ بمصر سنة١٣٣٢.
(٢٣) البرادي ـ الجواهر المنتقاة ص١٥٦ .
(٢٤) البخاري ـ صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالسنة .
(٢٥) البخاري ـ صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة في الإسلام ط دار إحياء الكتب ج٢ ص٢٨١.
(٢٦) البيجوري (إبراهيم البيجوري) ـ شرح البيجورري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ٢٣٧.

(٢٧) الإمام البيهقي ـ الأسماء والصفات ص٣٥٧.
(٢٨) الجرجاني ـ شرح المواقف في علم الكلام طبعة دار الحلبي ص١٨٨.
(٢٩) الحارثي ـ العقود النقية ط١ دار اليقظة ص٨٠ .
(٣٠) الدارجيني ـ طبقات المشايخ ـ الجزء٢ص٢١٤.
(٣١) الرازي ـ فخر الدين الرازي ـ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين تقديم طه عبد الرؤوف سعد طبعة المكتبات الأزهرية ص١٩١.
(٣٢) الرازي ـ فخر الدين الرازي ـ أصول الدين ـ المكتبات الأزهرية ص٧٠ .
(٣٣) الخطيب البغدادي ـ الكفاية في علم الرواية ص٤٣٢ باب ما ذكر فيه خبر الواحد وما لا يقبل فيها .
(٣٤) السالمي (أبو بكر السالمي) بهجة الأنوار ـ طبعة عمان .
(٣٥) السالمي ـ تحفة الأعيان ـ طبعة عمان .
(٣٦) السالمي ـ مسند الإمام ربيع ـ طبعة عمان .
(٣٧) السالمي ـ مشارق الأنوار .
(٣٨) السبكي ـ جمع الجوامع والمحلى في شرحه ج٢ ص١٥٧.
(٣٩) السخاوي ـ المقاصد الحسنة ـ دار الكتاب العربي سنة ١٩٨٥ص٣٢١رقم ٤٣٢ .
(٤٠) السيابي ـ إزالة الوعثاء ـ عمان سنة ١٩٧٩.

(٤١) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي) — تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي — طبعة دار الكتب الحديثة ج٢ص١٨١- بيروت ١٩٧٩.
(٤٢) السيوطي الدرر المنتثرة — طبعة دار الاعتصام بمصر .
(٤٣) الشماخي — السير — طبعة القاهرة ١٨٨٤.
(٤٤) الشهرستاني — الملل والنحل — مؤسسة الحلبي ج١.
(٤٥) الشوكاني — الفوائد المجموعة — طبعة السنة المحمدية بمصر ص٣٩٩ رقم ١٣٩— طبعة الأولى سنة ١٩٦٠.
(٤٦) الغزالي — أبو حامد الغزالي — إحياء علوم الدين — طبعة دار الصحابة .
(٤٧) الإمام الغزالي — المستصفى ج١ طبعة دار مصطفى الحلبي القاهرة .
(٤٨) الطبري — تاريخ الأمم والملوك — ط دار الفكر بيروت ج٢ص٤١ سنة ١٩٤٩م .
(٤٩) الطبري / تفسير الطبري ج٤ ص٢٩١ — مطبعة الحلبي .
(٥٠) القلهاتي — الكشف والبيان — تحقيق د سيد الكاشف ج١ ص٢٣— عمان ١٩٨٠م.
(٥١) القرطبي — تفسير القرطبي ج٥ — ط دار الكتب العربية .
(٥٢) الإمام النووي شرح صحيح مسلم ج١ طبعة دار الكتب الحديثة بيروت .
(٥٣) أمال قرداش بنت الحسين — دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى — كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ قطر ـ العـدد ٧٠ ربيع الأول ١٤٢٠ هجرية – السنة التاسعة عشر .

(٥٤) إمام الحرمين ـ البرهان ـ طبعة القاهرة .

(٥٥) سعد الدين التفتازاني ـ التلويح ج٢ طبعة البابي الحلبي .

(٥٦) سعيد بن مبروك القنوتي ـ السيف الحاد على من أخـذ بحديث الآحاد في مسائل الاعتقاد ـ مكتبة الضامري للنشر والتوزيع عمان سنة ١٩٩٤م.

(٥٧) صالح بن أحمد الصوافي ـ الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة ص١٤٨ ج١ سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة .

(٥٨) عبد الرحمن محمد المراكبي ـ قضيـة التكفير والحكم على المسلمين بين التطرف والاعتدال ـ ط المؤسسة العلمية الحديثة للطباعة ١٩٩٤م .

(٥٩) عبد القاهر البغدادي ـ أصول الدين ـ دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان .

(٦٠) عبد القاهر البغدادي ـ الفرق بين الفرق ـ دار الآفـاق الجديدة بيروت .

(٦١) عبد الله الشرقاوي ـ فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي ـ طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية .

(٦٢) عمار طالبي ـ آراء الخوارج الكلامية ـ الجزائر ١٩٧٨ ط أولى.

(٦٣) على بن محمد المنذري ـ رسالة الصراط المستقيم طبعة عمان .

(٦٤) على محمد القاري الهروي ـ الأسرار المرفوعة ـ تحقيق محمد لطفي الصباغ طبعة المكتب الإسلامي .

(٦٥) عوض حليفات ــ نشأة الحركة الإباضية .
(٦٦) محمد بن محمد الأمير ــ حاشية الأمير على شرح عبد السلام المالكي لجوهرة التوحيد للقاني ــ مطبعة مصطفى الحلبي بمصر.
(٦٧) محمد رشيد رضا ــ تفسير المنار ج١ ــ دار المنار .
(٦٨) محمد عبده ــ رسالة التوحيد ــ ط دار الهلال ١٩٨٠م .
(٦٩) محمد علي دبوز ــ تاريخ المغرب الكبير ج٢ ــ دار إحياء الكتب العربية مصر ١٩٦٣م .
(٧٠) محمد بن علي بن طولون ــ الشذرة ــ تحقيق جمال زغلول ــ دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى ١٤١٣هـ .
(٧١) محمد بن يوسف أطفيش ــ الذهب الخالص ــ سلطنة عمان ــ المطابع العالمية .
(٧٢) محمود مزروعة ــ تاريخ الفرق الإسلامية ــ دار المنار ١٩٩٦م.
(٧٣) مسلم ــ صحيح مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وفسادهم طبعة الريان رقم١٠٦٤.
(٧٤) منشاوي عثمان عبود ــ المهذب في مصطلح الحديث ــ طبعة الجهاز المركزي للكتب الجامعية .